الفصل الثالث
النفقات المالية للدولة الموحدية

أولاً – المرتبات

ثانياً – النفقات العسكرية :

أ – إقطاع وبركات وعطايا الجنود

١ – الإقطاع

٢ – البركات

٣ – المواساة والإحسان

٤ – افتداء الأسري

ب – الإنفاق على الأسلحة والمعدات الحربية :

ج – الإنفاق على تجهيزات الأسطول وإعداده

د – الإنفاق على التحصينات العسكرية

ثالثاً – النفقات والهبات السياسية :

أ – نفقات الاستقطاب السياسي

١ – نفقات لتأييد ولاية العهد وأخذ البيعة لخلفاء الموحدين

٢ – نفقات على الداخلين في طاعة الموحدين

٣ – نفقات لتأليف قلوب العامة حول الموحدين

ب – نفقات لدعم السياسات الخارجية

ج – نفقات متنوعة

رابعاً – نفقات البناء والتعمير:

أ - الإنفاق على المنشآت العامة

١ - المدن

٢- القصور والمنازل

٣- المساجد

٤- المدارس

٥ - البيمارستانات

٦ - الحمامات

٧ - الفنادق

ب - المشروعات المائية واستصلاح الاراضى

خامساً- النفقات الاجتماعية :

أ - عطايا ومنح خاصة للعلماء والصالحين والفقراء

ب - أموال للتعويضات والنجدة

تعددت أوجه الإنفاق عند الموحدين ليشمل جوانب الحياة ببلاد المغرب كافة، بشكل يؤكد ما ذهبنا إليه في الفصل الثاني من أن موارد الموحدين كانت كثيرة و متنوعة . فقد تنوعت هذه النفقات لتشمل نفقات إدارية علي شكل مرتبات، والنفقات العسكرية، ثم النفقات السياسية، كذلك نفقات عمليات البناء والتعمير، بالإضافة إلى نفقات على الأعمال الاجتماعية . ورغم ذلك فلا يمكن قياسها كمياً، ففي معظم الحالات لا يوجد أرقام لتلك النفقات في مصادر الموحدين [١] ويمكننا استعراض كل نوع من هذه النفقات على حدي فيما يلي :

أولاً – المرتبات:

تعددت أنواع المرتبات في دولة الموحدين، فتمشياً مع سياسة الموحدين للسيطرة على جميع مرافق الحياة في المجتمع، فقد نظموا العطاء[٢]لكل أرباب الوظائف . فقد كانت الرواتب تُعطى لأرباب الخطط الإدارية التي تضاعف عددها . وكانت الرواتب المنتظمة تصرف للوزراء والكُتاب والقضاة وصاحب الأشغال والعمال

---

[١] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٤٢، ٣٤٨، ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب، قسم الموحدين ، ص ٨٠، ٨١، ٢٢٨– ٢٣٠، شارل فيرو : مرجع سابق، ص ٦٠، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص٣٧٢،

– Abdellatif Sabbane : Op.Cit ,pp. 312 ,313.

[٢] عطاء : العطاء في اللغة مما يعطى، وجمعه أعطية وجمع منه أعطيات . وفى الاصطلاح العطاء المرتب الذي يتقاضاه الجندي في الجيش، ومثله الرزق والأرزاق . وقد تطور مفهوم العطاء في الدولة الإسلامية مع تطور أنظمة الجيش والأنظمة الإدارية الأخرى في الدولة، انظر : أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية، ص١٧٥، مصطفى عبد الكريم الخطيب : مرجع سابق، ص ٣٢٤ .

والأطباء والمهندسين والشعراء [١] ومتولي الخزانة العلمية وأهل الخطط الدينية – من أئمة وخطباء ومؤذنين – والفعلة والبنائين والصناع والفقهاء والطلبة والمتصوفة والفلاسفة . وكان هؤلاء ينالون مرتباتهم من خزينة الدولة [٢].

والراجح أن الرواتب كانت مستمرة كل شهر. والظاهر أن هذه الرواتب كانت تدفع نقداً على الرغم من أن الخليفة كان يقطع بعض الناس أراضى كهبات، لكن لم يؤثر أن أحداً أقطع أرضاً كراتب له، فيقول ابن عذارى المراكشي عن أبي يعقوب يوسف أنه : " كان صادقاً رأيه للموحدين بالمواساة في كل شهر، وبالبركات مدى الدهر" [٣].

وقد أعطانا القلقشندى مقدار ما كان يأخذه أشياخ الموحدين من مرتبات في ظل الدولة الحفصية، حيث يشير إلى أن الرواتب ويسمونها "البركات" كانت تفرق عليهم أربع مرات في السنة : في عيد الفطر، وفى عيد الأضحى، وفى ربيع الأول، وفى رجب ؛ وكان مقدارها لكل واحد منهم أربعون ديناراً مسماة أو ثلاثمائة درهم عتيقة، فيكون جملة ما لكل واحد منهم في كل سنة مائة وعشرون ديناراً مسماة أوألف ومائتى درهم مغربية [٤] . ويُرجح أن القلقشندى قد أخطأ في الحساب، لأن الفرد يحصل على أربعين ديناراً في أربع مرات يصبح مجموعها مائة وستين ديناراً وليس مائة وعشرين ديناراً، ولأن الدولة الحفصية هي دولة وليدة عن الدولة الموحدية

---

[١] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٢٠١.

[٢] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ١١٠، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الاسلامى، ص٢٩٢.

[٣] البيان المغرب : قسم الموحدين، ص١٦٤، ١٦٥، عز الدين عمر موسي : مرجع سابق، ص٢٩١،٢٩٢.

[٤] صبح الأعشى : جـ٥، ص١٤٠، ١٤١ .

ووريثه لها، لذلك يحتمل تشابه مرتبات أشياخ الموحدين في كلا الدولتين [١].

ويلحق بهذا مرتبات القضاة في الدولة الحفصية، حيث كان قاضي الجماعة يحصل على مرتب خمسة عشر ديناراً [٢]، وربما كان نظيره في الدولة الموحدية يحصل على نفس المرتب الشهري [٣].

كما كان الطلبة ينعمون بالمرتبات والأرزاق، والطلبة هم أبناء القبائل الذين جمعهم الخليفة عبد المؤمن وأعدّهم إعداداً خاصاً في مدرسة أنشأها لهم ليكونوا هم الطبقة الإدارية بالبلاد، وكانت نفقتهم وسائر مئونتهم ومرتباتهم من خزانة الدولة [٤]. وقد اهتم خلفاء الموحدين الذين جاءوا بعد الخليفة عبد المؤمن بالطلبة وأجروا عليهم المرتبات والأرزاق، وقد بينت الرسالة الصادرة من الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمراكش عام ٥٦٣هـ / ١١٦٧م إلى الموحدين بغرناطة، اهتمام الخليفة بدفع مرتبات الطلبة بها، وقد جاء في الرسالة : " وقد خاطبنا – أي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن – الطلبة الذين بأشبيلية أن يدفعوا للموحدين الذين بأغرناطة من البركة – أي المرتبات – مثل ما أخذه أهل قرطبة " [٥]. كذلك أجرى أبو يوسف يعقوب المنصور المرتبات على العلماء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم تشجيعاً لهم [٦].

---

[١] حسن على حسن : مرجع سابق، ص٢١٦، ٢١٧.

[٢] القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص١٤٠، ١٤١.

[٣] حسن على حسن : مرجع سابق، ص٢١٧.

[٤] ابن القطان : مصدر سابق، ص ١٧٨، ١٧٩.

[٥] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص ٢٧٤، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٢١٧،٢١٨.

[٦] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص ٢١٧، محمد المنونى : حضارة الموحدين، ص١٦، محمد الأمين محمد وآخرين : مرجع سابق، ص١٣٨، شوقي محمد يوسف حسن شحاتة : مرجع سابق، ص١٩٧.

وكانت تلك الرواتب تكون مرتفعه أو منخفضة حسب مستوى الوظيفة التي يُدفع لصاحبها الراتب، فمثلاً يذكر أبو عبد الله بن إبراهيم الأصولي قاضي بجاية أنه أحصى ما وصله كراتب من السيد أبي الحسن واليها أيام خدمته فوجده أربعين ألف دينار [١].

ثانياً – النفقات العسكرية :

باستيلاء الموحدين على الحكم وجهوا جل عنايتهم إلى الجيش والأسطول، فحظي باهتمام خلفاء الموحدين من حيث التدريب وتزويده بالعدة والعتاد، واستلزم ذلك الكثير من المال والجهد حتى يتناسب مع النشاط العسكري الكبير الذي قام به عبد المؤمن بن على ومن جاء بعده من أبنائه في ميدان الأندلس والمغرب . لذلك احتل الإنفاق على الجنود ومعداتهم، سواءً كانوا في البر أو البحر النصيب الأوفى من الدخل المالي[٢]. ويمكن استعراض كل نوع من تلك النفقات العسكرية كالتالي :

أ – إقطاع وبركات وعطايا الجنود :

اهتم الموحدون بإعداد الكوادر البشرية وتجهيزها للحرب والجهاد فأنشأ عبد المؤمن بن علي المدارس الحربية لذلك، وكان يجمع لها الفتيان بالألوف وبالأخص من قبيلة مصمودة[٣] . فيروى أن عبد المؤمن أنشأ في حاضرته مراكش مدرسة

---

[١] ابن سعيد : الغصون اليانعة، ص ١٥٣ .

[٢] مجهول : الحلل، ص١٥٠، عصمت عبد اللطيف دندش : مرجع سابق، ص١٤٦.

[٣] قبائل مصمودة : بفتح الميم وسكون الصاد المهملة، وضم الميم وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر. وهم بنو مصمودة بن برنس بن بربر، وهم أكبر قبائل البربر وأوفرهم عدداً وأوسعهم شعوبا، ومنهم الموحدون أصحاب المهدي بن تومرت . وقد كان المصامدة يسكنون النصف الغربي من سلسلة جبال الأطلس الأعلى من المحيط الأطلسي إلى مناطق

لتخريج رجال السياسة وقادة الجيش والأسطول، وأنه كان يستدعى إليها الطلبة (الحفاظ) من أبناء أشبيلية وقرطبة وتلمسان وفاس وغيرها . وكان تعليمهم جميعاً على نفقة الدولة، كما كان هؤلاء الفتيان الذين يسمون بالحفاظ يعرضون من وقت إلى آخر أعمالهم وبراعتهم أمام أمير المؤمنين حيث يخص أولئك الذين يمتازون منهم بالبراعة والجرأة والعزم وحضور البديهة بالجوائز والصلات، كما كان هؤلاء الطلاب يمنحون الخيل والسلاح مجاناً[1].

ومن جانب آخر كانت تصرف للجند أموال كثيرة تحت مسميات عدة مثل الإقطاع والمرتبات والمنح والعطايا أثناء القيام بحملة، يضاف إلى ذلك ما كان يوزع عليهم في الاحتفالات العامة والمناسبات، ويمكننا توضيح كل نوع من تلك الأموال كما يلي :

تادلا، وكل سلسلة جبال الأطلس الداخلية، انظر : القلقشندى: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٢م، ص١٦٩، ١٧٠، روجي لي تورنو : مرجع سابق، ص١٢، ١٣.

[1] مجهول : الحلل، ص٥٠، ٥١، يوسف أشباخ : مرجع سابق، ص٢٤٨، أحمد الجمال : مرجع سابق، ص٦٢.

١ – الإقطاع[١] :

سُمى الإقطاع في عهد الموحدين بالسهام أو السهوم، وقد كان الإقطاع جزء من أشكال الرواتب للجنود الموحدين . ويجب الإشارة إلى أن الغاية من الإقطاع اختلفت في حالتي الثورة والدولة، ففي الحالة الأولى كان الإقطاع إحدى الوسائل التي اتبعت لتمليك الموحدين قبائلهم للأراضي المفتتحة، بينما في الثانية أصبحت الغاية من الإقطاع دفع جزء من الرواتب أو تسكيناً أو تأليفاً أو لقاء خدمة أو هبة، لاسيما فيما يخص الجند[٢] .

وقد استمر هذا الوضع بالنسبة للإقطاع كمرتب للجند حتى في عصر الحفصيين، فقد كان حفصيو تونس يعطون الجند أراضي مطلقة تحرث وتزرع لهم

---

[١] الإقطاع : نظام اقتصادي – اجتماعي، والنسبة إليه إقطاعي، عرفته البشرية منذ العصور القديمة، بموجبه يستطيع المالك أن يتحكم في الأرض ومن فيها من الناس . وكان الإقطاع في أوربا يعد هبة من الخليفة أو الملك لأتباعه حسب مشيئته، أما في الدول الإسلامية فقد اعتبر الإقطاع أمراً شخصياً بحتاً لا دخل فيه لحقوق الملكية أو لأحكام الوراثة، فكان المقطع يحل في الإقطاع محل السلطان أو الملك ليتمتع بغلاته وإيراداته، ثم يؤول جميعه إلى السلطان بمجرد انتهاء المدة المحددة للعقد أو الإخلاء بشرط من شروطه، أو حين وفاة المقطع، أنظر : عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٢٣٨، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ١٣، ص ١٠٤ – ١١٧، جـ١٥، ص ٣٧، مصطفى عبد الكريم الخطيب : مرجع سابق، ص ٣٧، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي، ص ١٤٦، عصمت عبد اللطيف دندش : مرجع سابق، ص ١٦٠.

[٢] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٢٣٨، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادى، ص ١٤٦، عصمت عبد اللطيف دندش : مرجع سابق، ص ١٦٠.

أو تحكر ويكون لهم عشر ما يطلع منها [١].

والإقطاع الموحدى غالباً ما كان مزارعة أو مشاركة، لأن هذا يتفق ونظرة الموحدين للملكية بعد قيام الدولة، بمعنى أن الدولة دخلت شريكاً إقطاعياً مع الملاك الأصليين لها حصة من دخل الأرض، ولم يرد شئ عن الوراثة فيه، وقد ينزع ويقيد ضمن المستخلص [٢].

أما عن مقدار الإقطاع فإن المصادر لا تعطى معلومات دقيقة عن مقدار ما يقطع للفرد الواحد، فهو يوصف بالسعة أو الخطر أو الولاية الكبيرة أو القرى الكثيرة أو الضيعة الواحدة . فربما كانت الضيعة – وهى في الاصطلاح المغربي المجشر بمعنى المرعى أو المزرعة – أقل ما يقطع للفرد الواحد، لاسيما وأن الإقطاع عن جزء من الغلة لا عن رقبة الأرض، وربما كانت الضيعة عشرة فدادين، ويبدو أن دخل بعض أصحاب الإقطاع كان كبيراً [٣].

٢ – البركات :

والبركات هي رواتب الجند وعطاؤهم، وكان هناك نوعان من البركات في العصر الموحدى، النوع الأول: وهو البركات المنتظمة أو الرواتب المنتظمة، والنوع

---

[١] العمري : مصدر سابق، ص ١٥٦، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ١٤٠، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي، ص ١٤٧ .

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٢٥، عصمت عبد اللطيف دندش : مرجع سابق، ص ١٦٠.

[٣] الصفدى : الوافي بالوفيات، جـ١٩، ص ١٥٦، المقري : مصدر سابق، جـ ١، ص٢٦٨، جـ ٣، ص٤١٩، عبد الواحد المراكشي : مصدر سابق، ص١٧٦، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي، ص ١٤٧، ١٤٨.

الثاني : هو البركات غير المنتظمة أو ما يعرف بالتمييز[١]، ويمكن عرض كل نوع من هذه البركات :

النوع الأول البركات المنتظمة (الرواتب) : ويسميها المراكشي بمصطلح مشرقي هو "الجامكية" [٢] فكانت تصرف ثلاث مرات في السنة لجند الموحدين أي مرة كل أربعة أشهر، بينما رواتب غير الموحدين فكانت مشاهرة، فالجند الغز[٣] كانوا يحصلون على مرتباتهم شهرياً[٤].

وقد علل الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور عملية توزيع مرتبات الجند (

---

[١] يأتي التمييز هنا بمعنى تصنيف الجنود والجيش لإخراج العطاء، كذلك عُرف التميز بمعني الموحدين من المنافقين في القوات الموحدية، كما عُرف بمعنى التطهير، وكانت أول عملية تميز في الدولة الموحدية التي قام بها المهدي بن تومرت على يد البشير الونشريسى عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، حيث عُرض الموحدون عليه فأخرج منهم قوماً على يمينه زعم أنهم من أهل الجنة، كما أخرج قوماً على يساره زعم أنهم من أهل النار، حيث أنهم يشكون في عصمة الإمام المهدي بن تومرت، عن التميز في العصر الموحدى انظر: ابن القطان : مصدر سابق، ص ١٠٢، ١٠٤، البيذق : مصدر سابق، ص٧٨، ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٢٢٨.

[٢] جامكية : لفظ فارسي معناه مرتب الجندي أوالخادم، أنظر : أحمد بن محمد الحموي : مصدر سابق، مخطوطة، ورقة٢، مصطفى عبد الكريم الخطيب : مرجع سابق، ص ١١٩.

[٣] الغز(Guzz) : لفظ يشير إلي الجنس التركماني أو التركي، وقيل يشمل التركي والتركماني والقفشق والجنس المولد . وقيل هم كل من ولد من عامور بن يافث بن نوح، وهم قبائل تركية غير متحضرة . إلا أن المقصود هنا فرقة جنود من المماليك الأتراك، أنظر : العمرى : مصدر سابق، ص١٦١، محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م، ص١١٥ .

[٤] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٢٣٨، أحمد بن محمد الحموي : مصدر سابق، مخطوط، ورقة ٢، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٤٣، ١٤٤.

البركات) على أساس ثلاث مرات سنوياً، وذلك بالنسبة لجند الموحدين . أما بالنسبة لغيرهم من جنود الغز فإن مرتباتهم كانت شهرية، ذلك بأن الموحدين لهم الإقطاعيات التي تدّر عليهم الأموال باستمرار، بعكس هؤلاء الغز فهم غرباء لا يمتلكون شيء لهم في البلاد سوى هذه الجامكية [١]. وعلى هذا الحال كانت مرتبات الموحدين في الدولة الحفصية وهى امتداد للدولة الموحدية في افريقية، أربع مرات في السنة، هذا بالنسبة للمرتبات الثابتة الدورية لجند الموحدين، وإن كانت المراجع لم تعطنا مقدار مرتب كل جندي [٢].

ومن جانب آخر فبينما يرى المراكشي (توفى عام ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م)أن هذه "البركة" تُدفع للموحدين ثلاث مرات في كل عام، يرى ابن صاحب الصلاة (توفى عام ٥٩٤ هـ/ ١١٩٨م) أنها كانت تدفع كل شهر[٣]. لذلك يتساءل البعض هل مرد الاختلاف بين الروايتين راجع إلى الاختلاف الزمني بينهما حيث أن رواية ابن صاحب الصلاة جاءت عن خلافة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(٥٥٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٣-١١٨٤م)، بينما كانت رواية المراكشي عن خلافة المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م)؟

وللإجابة عن هذا التساؤل تشير بعض الآراء إلى أن مثل هذا الافتراض ربما يعنى أن الموحدين كانوا يعطون "البركة" كل شهر ثم عدل المنصور هذا النظام . ولا نستطيع أن نذهب إلى مثل هذا الرأي، لأنه لو حدث شيء من هذا القبيل

---

[١] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٢٣٨.

[٢] القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص١٤٠، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١٢.

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٤٢، ٢٩١، ٢٩٢، عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٢٣٨.

فالراجح أن يترك ردة فعل بين الموحدين . إلا أن الراجح أن البركة كانت تصرف في أوقات مختلفة ولكنها منتظمة، وحددت أوقات الصرف بعد مراعاة ظروف كل عنصر من عناصر الجيش النظامي، ولهذا فإن رواية المراكشي أقرب إلى واقع الأشياء[١].

أما النوع الثاني من البركات هو البركات غير المنتظمة(التمييز) : فبالإضافة إلى الرواتب الثابتة كانت هناك البركات – الرواتب – التي تخرج قبل المسير للغزو أو في أثنائه أو بعد المعركة أو بعد الرجوع منها أو أثناء الاحتفالات وهو ما يعرف بعملية (التمييز)، وهذه "البركة" التي تصرف في حال الحرب يتساوى فيها الجند النظامي وغيره . ويبدو أن هذا النوع من البركات بدأت مع غزو تادلا عام٥٣٠هـ / ١١٣٦ م، حيث يروى ابن القطان أن الخليفة عبد المؤمن بن على قسّم " البركة" على جنده قبل المسير، وغدا فعله ذلك سابقة داوم خلفاؤه على تنفيذها[٢].

وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة تصويراً دقيقاً لعملية التمييز التي قام بها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عند الاستعداد للعبور إلى الأندلس عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، حيث يذكر أن عملية التمييز هذه استمرت خمسة عشر يوماً . وقد بدأ التمييز بحشد الأعداد الوفيرة من جند الموحدين وغيرهم من العرب الوافدين، وبدأ بتزويدهم بالسلاح والملابس، فقسم عليهم الخيل والجياد التي بلغت ثلاثة آلاف فرس، وأعطى للجميع السيوف والرماح، كما كسا الجميع بالقباطى والقمص والغفائر والعمائم . ثم جلس الخليفة لتوزيع الأموال والمنح على الجنود ورؤسائهم بنفسه، في حضور أشياخ الموحدين وطلبة الحضر وأشياخ العرب . وبدأ

---

[١] عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٨٨،٢٨٩.

[٢] نظم الجمان : ص٢٥٠، عز الدين عمر موسى : مرجع سابق، ص٢٨٨، ٢٨٩.

بتوزيع البركة علي جند الموحدين، فخرج للفارس الكامل منهم عشرة دنانير ولغير الكامل ثمانية دنانير، وللراجل خمسة دنانير . ثم أعقب ذلك توزيع البركة علي جنود العرب، فخرج للفارس الكامل منهم خمسة وعشرون ديناراً ولغير الكامل خمسة عشر ديناراً، وللراجل سبعة دنانير، وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ منهم خمسون ديناراً ولكل رئيس منهم على قبيلة مائتا دينار[١].

كما وزع الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور البركات على الجند قبيل بدء حملته الأولى على الأندلس عام ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م، يقول ابن عذارى : " ثم إن المنصور حقق تمييز الجيوش المسترزقة، ومن افترق من الأعداد الواصلة من بر العدوة، أخذوا باقيهم المسمى بالبركة "[٢]. ومن هذه الأعطيات للجنود ورؤسائهم، يتضح ضخامة الأموال التي كان يحصل عليها الجنود كمنح أثناء الخروج للمعارك.

وقد ظلت هذه البركات الإضافية تدفع للجند قبل الخروج إلى المعارك حتى عصر الخليفة الرشيد بن المأمون بن المنصور (٦٣٠- ٦٤٠هـ/ ١٢٣٢-١٢٤٢م) الذي بذل الأموال لقبائل الموحدين قبيل حملته على المغرب . يقول ابن عذارى : " لما اجتمع رأيه– أي الرشيد الموحدى – على الحركة إلى الغرب بذل العطاء الواسع للأجناد وأمر الموحدين أن يعينوا له حصة منهم على قبائلهم، فكتبوا له بعضاً منهم لقرب عهدهم بالوصول لمراكش، فأعطاهم بركات وأزوده وأحسن لأشياخهم إحساناً كثيراً "، وقد كان كل حاكم ولاية يتولى صرف مرتبات الجنود التابعة لولاية،

---

[١] المن بالإمامة : ص٣٤٨ .

[٢] البيان المغرب : قسم الموحدين، ص ٢٠٥، ٢٠٦، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٢١٢، ٢١٣، ٢١٤.

بعد أن يحصل على الأموال الكافية لذلك من الخزانة المركزية [١] .

أما عن مقدار"البركة" فإن المصادر لم تذكر شيئاً عن " البركة " المنتظمة . أما البركات الإضافية فقد أعطانا ابن عذارى مقدار المنح المالية في أثناء غزو الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لقفصة[٢] عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩ م : " كان – أي يوسف بن عبد المؤمن – يعطى البركة لعساكره في غزوته لقفصة ألف ألف دينار تمادى في ذلك مدة غزوته إلى أن انصرف " [٣].

وقد أورد ابن صاحب الصلاة معلومات يسيرة عن " البركة " التي كانت تخرج في حالة الغزو، ففي غزوة الموحدين على شرق الأندلس عام ٥٦١هـ / ١١٦٤م صُرف للفارس من الموحدين أو العرب عشرون ديناراً، ولكل شيخ من شيوخ الموحدين أو شيوخ العرب مائة دينار . وأما في غزوة وبذة ٥٦٧هـ / ١١٧١م[٤] فقد أخرجت ثلاث مرات عند الاستعداد وفى أثناء الرجوع وعند تفرق الجموع، وما ناله الفارس في الثلاث مرات كان يساوى ما ناله الفارس في غزوة شرق الأندلس التي أشرنا إليها . ولكن في غزوة وبذة حدث تميز بين الفارس والراجل، فما أعطى للفارس كان ضعف الذي أخذه الراجل، كما حدث تميز بين

---

[١] ابن عذارى المراكشى : مصدر سابق، ص٣٣٥.

[٢] قفصة : إحدى مدن أفريقية (بلاد الجريد) وهى مدينة كبيرة قديمة تقع بين مدينة القيروان وقابس، وبينها وبين الأخيرة ثلاث مراحل، أنظر : الحميري : مصدر سابق، ص٤٤٧، ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٢٤٠، ٢٤١.

[٣] البيان المغرب : قسم الموحدين، ص١٤١، شارل فيرو : مرجع سابق، ص٦٠.

[٤] وبذة : مدينة بالأندلس وهى حصن على واد بقرب أقليش، وعلى وادى وبذة عدة كثيرة من الأرحاء، ويجرى هذا النهر على عدة كثيرة من القرى فيسقيها، أنظر : الحميرى : مصدر سابق، ص٦٠٧.

العرب وغيرهم من الجند النظامي، فقد نال الجند من العرب ضعف ما ناله الجندي من الموحدين [١]، ويبدو أن هذا التمييز يرجع للسياسة التي اتبعها الموحدون في تألف العرب حتى يستوعبوهم في نظم الدولة كيلا يثيروا الفتن والثورات في إفريقية[٢].

وقد كانت هذه البركات الإضافية ضخمة في كثير من الأحيان، فلقد بلغت ذات مرة للجند زهاء نصف المليون من الدنانير الموحدية، ويقدر عبد الهادي التازى نصف المليون من الدنانير الموحدية الممنوحة كبركة ثلاثة عشر مليوناً ومائة وثلاثة وتسعون ألفاً وتسعمائة وعشرة دراهم مغربية، وذلك في فترة تحقيقه لكتاب "المن بالإمامة "، وذلك اعتمادا على أن وزن الدينار الموحدى ذهباً أربعة جرامات و٧٢٩مج [٣].

ومما يؤكد ضخامة البركات التي كانت تفرق عند المعارك ضخامة أعداد جنود جيش الموحدين، رغم اختلاف أعدادهم من معركة لأخرى، فحين عزم الخليفة عبد المؤمن على غزو إفريقية اجتمع له من الجند مائة ألف مقاتل، ومن الأتباع والسوقة أمثالهم[٤]، ونفس هذا العدد اجتمع له حين عزم على الخروج إلى الأندلس عام ٥٥٧هـ/١١٦٢م حيث أمر لهم الخليفة وهو بجبل طارق [٥] ثلاث مرات

---

[١] المن بالإمامة : ص٢١٠، ٢١٥، ٢١٦، ٤٠٣، ٤١٦، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

[٢] عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص ٢٩٠.

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٤٢، ٢٨٠، ٢٩٩ .

[٤] السلاوى : مرجع سابق، ص ١٢١، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١١.

[٥] جبل طارق(Estrecho de Gibraltar) : هو بداية أرض الأندلس من جهة

بالبركة[١]. وفى رواية أخرى أنه اجتمع له حين عزم على الخروج إلى الأندلس من الموحدين وقبائل زناته[٢] والعرب أزيد من ثلاثمائة ألف فارس، ومن جيوش المطوعة ألف فارس ومائة ألف راجل[٣]، وهناك من يشير إلى أن عدد جند الموحدين أثناء الحرب يبلغ أربعمائة ألف فارس عدا المشاة . وبالرغم أن هذه الأرقام يبدو عليها طابع المبالغة، إلا أنها تعطينا دليل بمدى ضخامة جيش الموحدين[٤].

كذلك كان عدد جند الموحدين والذين يرتزقون من وراء انتسابهم للجندية بمدينة مراكش وحدها عشرة آلاف جندي[٥]، فإذا كان هذا عدد جند العاصمة من المرتزقة والذين لا يبرحونها، فضلاً عن المدن الأخرى لتبين لنا مدى ضخامة جند الموحدين . هذه الأعداد الكبيرة كانت لها مرتبات مع ما تأخذه من منح وأموال أثناء القيام بحملة من الحملات، يضاف إلى ذلك ما يوزع عليها أثناء الاحتفالات العامة[٦].

المغرب، وقد بدأ منه طارق بن زياد فتح بلاد الأندلس، وهو عند الجزيرة الخضراء، انظر : الحميرى : مصدر سابق، ص٣٨٢، القزوينى : مصدر سابق، ص٤٠٤ .

[١] ابن صاحب الصلاة : مصدر السابق. ص١١٠، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١١.

[٢] قبائل زناته : بفتح الزاى والنون وألف بعدها تاء مثناة من فوق ثم هاء، وزناته ذو كثرة ببلاد المغرب، ومن زناته بنو مرين، أنظر : القلقشندى: قلائد الجمان، ص ١٧٦.

[٣] ابن أبى دينار : مصدر سابق، ص١١٢.

[٤] ابن صاحب الصلاة : مصدر السابق، ص١١٠، ابن أبى دينار : مصدر سابق، ص١١٢، السلاوى : مصدر سابق، ص ١٢١، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١١.

[٥] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٢٧٨.

[٦] حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١٢.

بالإضافة إلي ذلك ما تصرفه الدولة احتفاء بقدوم عسكر من الولايات استعدادا للاشتراك في غزو مرتقب، فقد كانت الجنود القادمة لاسيما العرب والمقيمة تطعم خمسة عشر يوماً كمظهر من مظاهر التكريم، حيث كان يدخل كل يوم على تلك الموائد الضخمة أزيد من ثلاثة آلاف رجل، كما صُنع لشربهم ما يشبه نهر من رّب ممزوج بالماء [١] . عدا ما يناله مثل هذا الجندي من إنعام إذا ما مر الخليفة بمنطقتهم[٢].

٣ – المواساة والإحسان :

إلى جانب البركة كانت الدولة تنفق على سكن عساكرها ومؤنهم ومعداتهم ولباسهم، فقد كان الجند يعطون الملابس وأنواع السلاح المختلفة، بالإضافة إلى علوفات لدوابهم ومؤناً من شعير وقمح ويسمون ذلك "المواساة " [٣].

وقد ذكر ابن القطان أن عبد المؤمن بن على كان يخرج للمواساة مرتين أو ثلاثاً في الشهر الواحد بحسب حضور المال لديه[٤]" كما كانت تفرق عليهم عند تحصيل الغلال التي في المخازن وكان يخرجها خلفاء الموحدين . وقد وصف ابن صاحب الصلاة وابن عذارى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بأنه كان صادقاً رأيه للموحدين

---

[١] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٢١٥، ٣٤٤.

[٢] مجهول : مجموع رسائل موحدين، تحقيق ليفي بروفنسال، ص١١٠، عبد الواحد المراكشي : مصدر سابق، ص٢٧٨، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٩٠.

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٢١٨، عز الدين عمر موسى : المرجع السابق، ص ٢٩٠.

[٤] نظم الجمان : ص١٧١.

بالمواساة في كل شهر وبالبركات مدى الدهر[١]. وقد أشار العمري إلى أن الموحدين في الدولة الحفصية كانوا يأخذون المواساة في كل سنة ومعها الإحسان وهو مبلغ يفّرق عليهم وكلاهما أي المواساة والإحسان من السنة إلى السنة [٢]، إذن فالبركات والتمييز كانت عند المعارك، والمنح مع المواساة والإحسان كلها نفقات كان يحصل عليها الجنود من بيت المال مدي الدهر[٣].

٤- افتداء الأسري :

كانت فدية من يقع في الأسر من الموحدين أو أتباعهم لاسيما القادة العسكريين من نفقات الموحدين، خصوصاً مع اشتداد الحركة الجهادية للموحدين في الأندلس، وتعاظم قوة النصارى في المقابل، فقد فدى الخليفة أبو يعقوب يوسف على بن وزير بأربعة ألاف دينار، وغانم بن مردنيش قائديه من أسر النصارى بمال كبير [٤].

ب - الإنفاق على الأسلحة والمعدات الحربية :

لم تكن نفقات الجنود الشخصية هي الوحيدة التي كانت خزانة الدولة تتحملها من النفقات العسكرية، بل امتدت تلك النفقات لتشمل الإنفاق على تجهيز هؤلاء الجنود بكافة ما يحتاجونه من أسلحة ومعدات حربية . فبعد أن تمهد لعبد المؤمن بن على ملك المغربين وأفريقية والأندلس وطاعت له سائر الأقطار وخضعت له الرقاب في البوادي والأمصار، عزم على غزو بلاد الفرنجة، فعمل علي الاستكثار

---

[١] المن بالإمامة : ص١٦٥، البيان المغرب : قسم الموحدين، ص ٨٣، حسن علي حسن : مرجع سابق، ٢١٤.

[٢] مسالك الأبصار : ص ١٥٧، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص١٤١.

[٣] حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١٤ .

[٤] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص ١٦٧ .

من أنواع السلاح والعدد[1]، وأمر بضرب السهام في جميع عمله، فكان يضرب له منها في كل يوم نحو عشرة قناطير جدية ! فجمع له من ذلك مالا يحصى كثرة، وأنشأ الموحدون مصانع السلاح في كثير من قواعد مملكته، وبالطبع تكلفت هذه الأسلحة والمعدات الكثير والكثير من الأموال[2].

كما أنفق الموحدون الأموال على استجلاب الخيل للجهاد، وتوفير الجمال والدواب التي تحمل الخيام والعتاد والمؤمن، هذا غير توفير ما يتبع الجيش من قطعان عديدة من الثيران والأغنام لتسير تحت إشراف الرعاة وتخصص لغذاء الجند[3].

جـ- الإنفاق على تجهيزات الأسطول وإعداده :

على الرغم من أن الموحدين كانوا يجدون فيما يغنمون من سفن أعدائهم المرابطين، ثم الصقليين والميورقيين والنصارى الإسبانيين مورداً لتنمية أسطولهم، إلا أن البناء كان هو المورد الأساسي في تكوين الأسطول الموحدى[4].

لذلك أنفق الموحدون على الأسطول وجنوده الكثير من الأموال، فقد اهتم

---

1) صالح الأشتر : مرجع سابق، ص٢٤.

[2] السلاوى : مرجع سابق، ص١٢٨، على محمد الصلابى : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ص١٢٥ .

[3] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٣٤٨، السلاوى : مرجع سابق، ص ١٢٨، على محمد الصلابى : مرجع سابق، ص ١٢٤ .

[4] مجهول : الحلل، ١٢٩، مجهول : مجموع رسائل موحديه، تحقيق ليفي بروفنسال، ص ١٧٨، ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٢١٣، حمدي عبد المنعم محمد حسين : مدينة سلا في العصر الاسلامى [دراسة في التاريخ السياسي والحضاري]، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٣م، ص٧٦ .

الموحدون اهتماماً كبيراً بإنشاء أسطول كبير . وقد احتاج لإنشاء هذا الأسطول إنشاء دور الصناعة على طول السواحل المغربية والأندلسية. فلم يكتف الموحدون بدور صناعة السفن التي كانت موجودة ببلاد المغرب والأندلس من عصور سابقة مثل تلك التي توجد في قصر مصمودة[١] وطنجة وسبتة وبادس وبلاد الريف ومهدية بني عبيد وتونس ووهران وهنين وعنابه وقادس والمرية والجزيرة الخضراء [٢] وشلب[٣]. لم يكتفي الموحدون بتلك الدور السابقة بل أنشئوا أخرى جديدة، فقد أنشأ عبد المؤمن دار صناعة المعمورة بحلي البحر على وادي سبو بمقربة من سلا [٤]،

---

[١] مجهول : الاستبصار، ص١٣٨، عز الدين عمر موسي، الموحدون في الغرب الاسلامي، ٢٦٧،
قصر مصمودة : حصن كبير بينه وبين سبتة اثنا عشر ميلاً، وهو على ضفة البحر تنشأ به المراكب والحرارق التى يسافر بها إلى بلاد الأندلس، وهو على رأس المجاز الأقرب إلى ديار الأندلس، وبين قصر مصمودة وطنجة عشرون ميلاً، انظر : مجهول : الاستبصار، ص ١٣٨، الحميرى : مصدر سابق، ص٤٧٦ .

[٢] الجزيرة الخضراء(Algeciras) : ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهى جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة فنسبت إليها، بينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلاً، وهى على ربوة مشرفة على البحر، سورها متصل به وبشرقيها خندق وغربيه أشجار تين وأنهار عذبة، وقصبة المدينة موفيه على الخندق، وهى منيعة حصينة سورها حجارة، وهى فى شرقى المدينة ومتصلة بها، انظر : الحميرى : مصدر سابق، ص ٢٢٣ .

[٣] ابن غالب الأندلسي : قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المجلد الأول، جـ٢، نوفمبر ١٩٥٥، ص٢٨٣، ابن أبي زرع : مصدر سابق، ص٢٠١، السلاوى : مرجع سابق، ص١٢٨، محمد المنونى : العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، المطبعة المهدية، تطوان – المغرب ١٩٥٠م، ص٢٥٥،٢٥٤، عز الدين عمر موسي : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٦٦.

[٤] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢٠١، حمدي عبد المنعم محمد حسين : مرجع سابق، ص٧٦، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٦٧، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي، ص ٢٣٣.

كما أنشئ الخليفة يوسف بن عبد المؤمن دار أخري بسبتة والتي ظلت موجودة حتى القرن الثامن الهجري[١].

وجدير بالملاحظة أنه في الوقت الذي كان فيه جل اعتماد المرابطين في بناء سفن أسطولهم على الأندلس وكانت مركز القيادة والقاذة لهم، كان الموحدون يعتمدون على المغرب حيث جعلوا قيادة الأسطول به، كما أن أكثر سفنهم كانت تُبنى في الشواطئ المغربية[٢].

ولاشك أن كثرة دور صناعة السفن بالشكل السابق مع كثرة نفقات الموحدين قد أنتج عدداً كبيراً من السفن في تلك الفترة، فابن أبى زرع يذكر أن عدد السفن الحربية التي أُنشأت في عهد عبد المؤمن بن علي فقط بلغ أربعمائة سفينة[٣] . وبالطبع هذا العدد الكبير من السفن احتاج لقدر كبير من المال حتى يمكن تجهيزه وإعداده، كما احتاج هذا العدد الكبير من السفن عدداً كبيراً من الجند المزودين بمختلف أنواع الأسلحة . وكان هؤلاء الجند يحصلون على مرتباتهم وأرزاقهم ولا يحرمون المكافآت والمنح، إذا أحرزوا نصراً على عدوهم . فحين حقق الأسطول الموحدى انتصاراً على أسطول الفرنجة في المهدية في عهد الخليفة عبد المؤمن بن على وزع عليهم قدراً من المال بلغ أثنى عشر ألف دينار مؤمني[٤].

---

[١] مجهول : الحلل، ص١٥٧.

[٢] ابن أبي زرع : مصدر سابق، ٢٠١، حمدي عبد المنعم محمد حسين : مرجع سابق، ص٧٦، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٦٧.

[٣] ابن أبي زرع : مصدر سابق، ص٢٠١.

[٤] الوزير السراج : مصدر سابق، ص٢٥٢، السلاوى : مرجع سابق، ص ١٢٣، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٢١٥.

د- الإنفاق على التحصينات العسكرية :

أنفق الموحدون على العمران العسكري الكثير، فقد شيدوا عدة حصون وقلاع بالمغرب والأندلس، ومنها قصبة المهدي التي بناها عبد المؤمن عام ٥٤٥هـ / ١١٥٠م عند مصب وادي أبى الرقراق . كذلك الحصن الذي بناه الموحدون قريباً من تلمسان[١]، كما بني عبد المؤمن بن علي قصبة أبراجها مثل الزوايا بأعلى مدينة تونس بعد أن أفتتحها[٢] . وأيضاً بني الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حصناً بالسوس الأقصى للإشراف على معدن الفضة الذي ظهر بالمنطقة وحمايته من استيلاء السكان عليه، وزوده بكل ما يحتاجه من مؤن وعتاد وجنود[٣] .

كما تم بناء عدة حصون بالأندلس أيضاً أطلقوا عليها اسم (بربكانا) {barbacanas } [٤]، ومن تلك الحصون (حصن الفرج) الذي يُشرف على مدينة اشبيلية، والذي بدأ في بناءه عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، أي في عهد أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م)[٥] . وهكذا بنيت عدة حصون وقلاع، وذلك تأكيداً لسلطة خلفاء الموحدين .

وقد أنشاء أو رمم الموحدون العديد من أسوار المدن، فقد أقام عبد المؤمن سور (تلمسان) الذي جدد في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، وابتدأ بناءه السيد

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٤٧، ١٤٨، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٣٩٤، ٣٩٥.

[٢] مجهول : الحلل، ص١٥٣ .

[٣] ابن عذارى : مصدر سابق، ص١٤٧، ١٤٨، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٣٩٤، ٣٩٥.

[٤] سلمى الخضراء الجيوشى : مرجع سابق، ص٨٧٦.

[٥] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٢٤٠، ٢٤١، إمبروسيو هويشى ميراندا : مرجع سابق، ص٣٤٩.

موسى بن يوسف بن عبد المؤمن عام٥٦٦هـ/ ١١٧٠م [١] . كما أمر عبد المؤمن بإصلاح ما تهدم من سور المهدية بعد فتحه إياها [٢] .

ومثلما اهتم عبد المؤمن بن علي بترميم وبناء أسوار المدن المغربية أهتم خلفائه بذلك، فقد أمر الخليفة أبو يعقوب يوسف في عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م بهدم سور مراكش القديم وإقامة آخر لتوسعتها[٣] . كما أن الخليفة يعقوب المنصور أعاد بناء أسوار مدينة سلا – ما عدا الجهة الغربية – بعد أن هدم أسوارها جده الخليفة عبد المؤمن بن على عام٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م . كما أعاد الموحدون بناء أسوار مدينة فاس تلك التي كانوا حطموها عند فتحها، وقام بتلك الأعمال الخليفة الموحدى الرابع محمد الناصر الذي أحاطها بأسوار منيعة بعضها قائم إلى اليوم[٤] .

كما اهتم الموحدون بإقامة القناطر والجسور، خاصة تلك التي تعبر من عليها الجنود أثناء تحركاتهم لاسيما عند المرور للمعارك، فقد أقاموا جسر وادي أم الربيع وقناطر تانسفيت وأشبيلية وسلا، بالإضافة لبنائهم الأبراج الشاهقة مثل برج مارتلة بالأندلس [٥] .

---

[١] عبد الله على علام : مرجع سابق، ص٣٨٣ .

[٢] الزركشى : مصدر سابق، ص ١١ .

[٣] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٥٣ .

[٤] المصدر السابق : ص٢٦٦، ويجعل ابن عذارى ذلك عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م، السلاوى : مرجع سابق، جـ١، ص١٩١، مصطفى أبو ضيف : اثر العرب في تاريخ المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص ٩٩، ١٠٠، حمدي عبد المنعم محمد حسين : مدينة سلا، ص٧٥.

[٥] ابن عذارى : مصدر سابق، ص١٦٥، السلاوى : مرجع سابق، ص١٣٣، يوسف اشباخ : مرجع

ثالثاً – النفقات السياسية :

هذه النفقات كانت تخدم الجوانب السياسية في المقام الأول، وذلك من حيث استخدامها كأداة للاستقطاب السياسي لصالح الموحدين، كذلك استخدامها لخدمة السياسات الخارجية لهذه الدولة أيضاً، وهذه النفقات سوف يكون لها انعكاساتها ونتائجها على الوضع السياسي للدولة الموحدية، ببلاد المغرب، كما سنرى في الفصل الخامس ويمكننا استيضاح هذه النفقات كما يلي :

أ – نفقات الاستقطاب السياسي :

لقد انفق الموحدون الكثير من الأموال من أجل دعم وضعهم السياسي والحصول على أكبر قدر ممكن من التأييد الشعبي، سواءً فيما يخص تأييد ولى العهد والبيعة لخلفاء الموحدين، أو كسب طاعة الداخلين في حكم الموحدين، أو زيادة التأييد الشعبي من خلال الاحتفالات وجولات خلفاء الموحدين، كذلك شملت هذه النفقات حماية حكم الموحدين من المؤامرات السياسية .

١ – نفقات لتأييد ولاية العهد وأخذ البيعة لخلفاء الموحدين :

كانت الخلافة وولاية العهد هما أرفع منصبين في دولة الموحدين، لذلك عمل خلفاء الموحدون على استخدام كل ما لديهم من وسائل لدعم هذين المنصبين، وكانت الأموال هي الوسيلة الأولى في هذا المجال، حيث أنفق الموحدون الكثير من الأموال في سبيل شراء تأييد الشعب والقوى المختلفة لكل ولى عهد أو خليفة جديد [١].

سابق، ص٢٥٤، ٢٥٥، أحمد الجمال : مرجع سابق، ص٥٦.

[١] ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٩٩، ٢١٤،

فقد اعتاد المغاربة على أن مبايعة الخليفة أو ولى العهد مرتبط بالعطايا والبركات، فأبو يعقوب يوسف(٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م) أمر بعد مبايعة العامة والخاصة له ببركة تعم الناس في العاصمة مراكش، كما أرسل رسله إلى جميع الولايات المغربية والأندلسية بتفريق الأموال والعطايا على السكان في تلك الولايات[١]. ومثلما فعل أبو يعقوب يوسف فعل ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م)، فلما تمت له البيعة كان أول شيء فعله أن أخرج مائة ألف دينار ذهباً من بيت المال، ووزعها على الضعفاء من أهل المغرب [٢]، وبعد أن وصل أشبيلية بالأندلس أخذ البيعة من العامة وبعدها أغدق عليهم الأموال [٣].

وأصبح توزيع الأموال على المغاربة عادة لخلفاء الموحدين، حتى أن نص المبايعة الذي يُقرأ على العامة والخاصة كان يتضمن عبارات وجُمَل يتعهد خلالها ولى العهد أو الخليفة الجديد على ضرورة تعجيل العطايا والمنح والبركات للعامة والخاصة من الشعب، وظل هذا الوضع قائماً حتى مراحل متأخرة من عصر دولة الموحدين . وقد أشار الذهبي إلى ذلك في معرض حديثه عن بيعة الخليفة أبو يعقوب يوسف(الثاني) المستنصر(٦١٠- ٦٢٠هـ / ١٢١٣-١٢٢٤م) : " أبو عبد الله بن عيّاش قائم يقول للناس : تبايعون أمير المؤمنين – يقصد الخليفة المستنصر الموحدى – ابن أمراء المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة في المَنْشَطِ والمكره واليسر والعُسر، والنُّصح له ولعامة المسلمين، ولكم

- Abun-Nasr. Jamil.M : Op.Cit pp.95,96.

[١] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٢٧١.

[٢] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢١٧، السلاوى : مرجع سابق، ص١٤٢ .

- Abun-Nasr. Jamil. M : Op.Cit, pp.97to100.

[٣] ابن عذارى المراكشي : مصدر سابق، ص١٧١ .

عليه ... أن يُعَجّل لكم العطاء" [١].

كما أنفق خلفاء الموحدين الكثير من الأموال لإسكات صوت من يعارض حكمهم . فمثلاً قام عبد المؤمن بن علي بالإنعام بشتى أنواع النعم والعطايا والأموال على أسرة المهدي بن تومرت، حتى لا يكونوا سبباً في إحراجه أو إحراج الموحدين أمام الشعب، أو يكون هذا داعياً للثورة والمؤامرة على الموحدين، باعتبار أن هؤلاء هم أسرة المهدي المعصوم الذي كان سبباً في تأسيس دولتهم . ورغم ذلك انقلبوا عليه وتآمروا لاغتياله[٢]، وقد ذكر هذا الخليفة عبد المؤمن في رسالة كُتبت عنه في الفترة ما بين عامي ٥٤٨– ٥٤٩هـ/ ١١٥٣– ١١٥٤م، حيث يقول : " ومع ما كان الأمر يتوسع لهم - أي لأخوة محمد بن تومرت – من الأرزاق المنعمة، والخيرات المتممة، والمنازل المكرمة، والخيل المسومة، فلم يكن مستطابهم إلا غلولاً يحترقون بناره، ويتطوقون بعاره، وينطلقون في أنجاده من تهاوشه وأغواره " [٣].

كما أن الخليفة يعقوب المنصور لما وجد معارضه من أخوته وأعمامه لبيعته كخليفة للموحدين أغدق الكثير من الأموال لشراء سكوت هؤلاء من الأسرة الحاكمة . يقول المراكشي: " وسار - أي الخليفة يعقوب المنصور – حتى نزل مدينة سَلاَ، وبها تمت بيعته واستجاب له من كان تلكأ عليه من أعمامه من ولد عبد المؤمن، بعد ما ملأ أيديهم أموالاً، وأقطعهم الإقطاع الواسعة " [٤].

---

[١] تاريخ الإسلام : جـ٤٤، ص ٥١٧ .

[٢] - Abdallah Laroui : Op.cit ,:Pp. 187 , 188.

[٣] مجهول : رسائل ديوانية موحديه، تحقيق احمد عزاوي، ص ٧٠.

[٤] المعجب : ص ٢٢٢.

٢ – نفقات على الداخلين في طاعة الموحدين :

أتبع الموحدون سياسة مختلفة عن سياسة المرابطين مع الحكام السابقين أو أبنائهم أو الثوار المستسلمين . فقد كانوا يكرمونهم ويقطعونهم ما يقيم أودهم، لأنهم أبناء ملوك سابقين . ويلاحظ أن أقطاعاتهم عادة ما تكون في البلاد الغربية تغريباً لهم، حتى لا تحدثهم نفوسهم بالثورة في مناطقهم السابقة . وقد يقطع الموحدون من يخشون فتنته تسكيناً لنفسه واستجلابا لطاعته مثل ما فعله عبد المؤمن مع رؤساء بني هلال في البلاد الشرقية[1].

وقد تكفلت خزانة دولة الموحدين بتعويضات الأمراء والحكام الذين استولى الموحدون على بلادهم، أو من أرادوا الدخول في طاعة الموحدين دون حرب . وقام الخلفاء بالإغداق عليهم بالأموال والديار والهدايا . وهذا ما رأيناه في معاملة الموحدين ليحي بن العزيز الحمادى ملك بجاية والقلعة، فبعد أن سيطر عبد المؤمن

---

(1) عبد الواحد المراكشى : المصدر السابق، ص١٧٤، ١٧٥، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي ، ص ١٤٥، وبنو هلال : قبائل عربية رعوية كانت الجزيرة العربية هي موطنها الأصلي، ولم يكن بنو هلال قبيلة واحدة وإنما أخلاطاً من القبائل، ولكن يجمعهم كلها أب واحد هو "قيس عيلان" كانوا يتعارفون باسمه . وكانوا جميعاً يسكنون بلاد الحجاز وأطراف نجد يمارسون حياة البادية، وأخصها الإغارة على الحجيج، وأخفقت الدولة العباسية في أن تضع حداً لهذه الغارات، ولدى نهضة القرامطة في بلاد البحرين انضم إليهم جماعات منهم شاركوهم حروبهم المدمرة، وبعد أن هدأت فتنة القرامطة مال بني هلال إلى الفاطميين، فنقلهم العزيز بالله إلى مصر، ونتيجة لكثرة الفوضى التي أحدثوها اقترح الوزير اليازورى على الخليفة المستنصر أن يصطنعهم ويوليهم أعمال إفريقية ومحاربة الصنهاجيين، فكانوا سبباً في ضعف وانهيار ملك الزيريين، انظر : ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص ١٧ – ٢٠، عُبادة كُحيلة : مرجع سابق، ص٩٠، كولين ماكيفيدى : أطلس التاريخ الإفريقى، ترجمة مختار السويفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٨٥، عبد الحميد يونس : الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣ م، ص ٣٤، ٣٥.

بن على على بجاية والقلعة والمناطق التابعة، عاد لمراكش مصطحباً معه يحي بن العزيز وأعيان دولته، وأمر لهم بالمساكن الفاخرة في مراكش والمراكب الفخمة والملابس الغالية والكثير من الأموال من بيت المال، وقد خص يحي بالكثير من تلك الممتلكات والأموال [١].

كذلك استمر الخليفة أبو يعقوب يوسف على تلك السياسة فقد أعطى هلال بن محمد بن سعد بن مردنيش الكثير من الأموال والتي صلت إلى حد أنه أعطاه في يوم واحد أثنى عشر ألف دينار [٢]. كما فعل الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور الشئ ذاته مع قراقوش التقوى بعدما أعلن ولائه للموحدين، حيث أعطاه الكثير من الأموال بل وأقطعه هو والأمير شعبان والقاضي عماد الدين بعض الإقطاعيات ببلاد المغرب [٣].

وبعد أن سيطر الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٤م) على كثير من المناطق الخاضعة لبنى غانية في إفريقية، دخل بعض أفراد أسرة بنو غانية في طاعة الموحدين، لذلك أقطعهم بعض الضياع بتلك المناطق، الأمر الذي جعل الموحدون يغدقون الكثير من الأموال ببلاد إفريقية في تلك الفترة بلغ مجموعها مائة وعشرون حملاً ذهبياً [٤].

ومثلما فعل الموحدون مع القادة والحكام الذين دخلوا تحت طاعتهم، فعلوا نفس

---

[١] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص١٧٥، ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٦، الذهبي : تاريخ الإسلام، جـ٣٨، ٢٥٨.

[٢] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٢١٢.

[٣] الذهبي : تاريخ الإسلام، جـ٤٢، ص٢٢٠.

[٤] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٢٦٢، ٢٦٣.

الشيء مع الوفود والجماعات أو القبائل التي أرادت السلام مع الموحدين، لاسيما القبائل العربية التي أرهقتها حرب الموحدين وأرادوا الدخول في طاعتهم . وفى المقابل بدلاً من أن يقوم عبد المؤمن بالانتقام من هذه القبائل نجده ينقل معه ألفاً من كل قبيلة منهم وينزلهم بالمغرب الأقصى، كما قام في نفس الوقت برد الأموال والحرم التي غنمت من تلك القبائل ومنحهم جزيل العطاء[١].

كما حدث ذلك أيضاً مع وفد إشبيلية الذي ضم مجموعة من أعيانها وعلمائها والذين وفدوا على عبد المؤمن بن علي(٥٢٤-٥٥٨هـ/ ١١٢٩-١١٦٣م) في عام فتح مراكش٥٤١هـ/ ١١٤٦م ليعرضوا على عبد المؤمن الدخول في طاعته . وقد تبع ذلك جزيل العطايا لهم، حيث شملت هذه العطايا لذلك الوفد مائة مثقال ذهبية حشميه للقاضي ابن العربي، ولابن حجاج الخطيب بمثل ذلك، ولباقي الوفود على قدر منازلهم [٢]. كما أن الموحدين لم يفوتوا مناسبة إلا وأعطوا تلك القبائل والجماعات الداخلة في طاعة الموحدين العطايا والمنح تثبيتا لطاعتهم لهم [٣].

٣ – نفقات لتأليف قلوب العامة حول الموحدين :

كان خلفاء الموحدين كثيري البذل والعطاء ففي كل مناسبة كانوا يوزعون الأموال على الناس كافة، وكان الخلفاء يبتغون من هباتهم وعطاياهم هذه أغراضاً سياسية، حيث كان من عادة الموحدين استغلال تلك المناسبات في زيادة شعبيتهم،

---

[١] ابن غلبون : مصدر سابق، ص٨٥، على محمد الصلابى : أعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ص١٢٩.

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣٤.

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٤٥، ابن عذارى : مصدر سابق، ص١١٧،١١٨، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، جـ٥، ص٦٣،٦٤.

من خلال إغداق الأموال في تلك المناسبات على المغاربة لاسيما الضعفاء والمحتاجين منهم، وهم القاعدة العريضة من الشعب [١] .

وكانت الاحتفالات العسكرية التي تسبق خروج الجيش الموحدى لأحدى المعارك من أهم أنواع تلك الاحتفالات التي يُفرق فيها العطايا على العامة– بالإضافة للجند – يقول ابن الخطيب عن أبي يوسف يعقوب المنصور حينما أراد الخروج لغزوة الأرك الشهيرة عام٥٩١هـ / ١١٩٥ م: " عرض الجيش وأخذ في تقريب القرب إلى الله بن يدي جهاده، فسرح السجون وأدر الأرزاق، وعين الصدقات، ورحل فنزل الأرك " [٢].

كما كانت الاحتفالات بوصول العرب وشفاء الخلفاء الموحدين من ضمن الاحتفالات التي كان ينفق فيها الكثير من الأموال على شكل عطايا للعامة والخاصة من أجل زيادة شعبية الحكام، فعلى سبيل المثال كان الاحتفال بوصول العرب للخروج في حملة كبرى للأندلس للقضاء على ابن مردنيش وحماية الأندلس عام ٥٦٥هـ / ١١٧١م والذي واكب شفاء الخليفة أبو يعقوب يوسف، حيث أنفقت فيه الكثير من الأموال . كما تضمنت الاحتفالات الدينية مثل صلاة الجمع والأعياد والليالي الدينية، توزيع بعض الهدايا والهبات والأموال على الشعب والخاصة[٣].

ولم تقتصر عطايا الموحدين للعامة والخاصة على الاحتفالات بكافة أنواعها، بل

---

[١] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٤٥، عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٩١،٢٩٢، احمد الجمال : مرجع سابق، ص ٨٨، ٨٩.

[٢] رقم الحلل : ص ٥٩.

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٣٣٣، ٣٣٤، ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١١٦، ١١٧، أحمد الجمال : مرجع سابق، ص ٩١.

امتدت لتشمل جوالات قام بها الموحدون، كان غرضها الأساسي كسب الدعم والتأييد الشعبي من خلال العطايا والأموال الطائلة التي كانت تنفق على الشعب خلال تلك الجوالات، ويمكن تبيان ذلك من خلال الرسالة التى وجهها عبد المؤمن بن على إلى الطلبة والأشياخ والأعيان والكافة بمراكش وغيرها من الولايات، وهى تتضمن موجز رحلته في جبال المصامدة، وذكره لكثرة القبائل المبايعة له نتيجة لكثرة العطايا التي منحها إياهم، وهذه الرسالة مؤرخة بـ ٨ شوال٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م [١]. فيقول عن عطاياه في تارودانت – مثلاً – أنهم رغم أعداد القبائل الضخمة هناك وتنافسهم في شراء رضا الخليفة عبد المؤمن بن علي طلباً للعطايا والمنح، فقد اجتمع بهم قبيلاً بعد قبيل ونالوا كلهم العطايا والبركات [٢]. كما يشير إلى عطاياه في منطقة(أنسا)[٣] في نفس الرحلة حيث أعطى قبائل تلك البلاد الكثير من العطايا والمنح المالية خاصة قبائل تينملل وهنتاتة، ومن أنضاف إليهم من قبائل تلك الجهات لاسيما قبائل القبلة[٤] من صنهاجة وهسكورة [٥].

ب – نفقات لدعم السياسات الخارجية :

أنفق الموحدون الأموال على دعم سياساتهم الخارجية، مثلما أنفقوها لدعم

---

[١] مجهول : رسائل ديوانية موحديه، تحقيق احمد عزاوي، ص ٩٣ .

[٢] المصدر السابق والصفحة .

[٣] أنسا : ليست " أنسا متاع وريكة " التي ذكرها البيذق، أما المقصودة في الرسالة فهي من أطراف بلاد السوس، أنظر : مجهول : رسائل ديوانية موحديه، تحقيق احمد عزاوي، ص٩٥.

[٤] القبلة : هذا يبين أن بلاد درعه وما شرقها يعتبر في عداد بلاد القبلة، وهى مجال قبائل صنهاجة، وإن اختلف في أصل هسكورة عرقاً أم جوار فقط، أنظر : عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٣٤٠، ابن خلدون : العبر، جـ٦، ص٤٧٠، مجهول : رسائل ديوانية موحديه، تحقيق احمد عزاوي، ص ٩٥.

[٥] مجهول: رسائل ديوانية موحدية، ص٩٤، ٩٥ .

موقفهم الداخلي أمام الشعب، فقد أنفق الموحدون الأموال لتوطيد علاقاتهم ببعض القوى الخارجية لاسيما الإسلامية منها، كما أنفقوا أموالهم لشراء مرضات بعض القوى لاسيما الأوربية منها، وهذا ما سوف نعرض له .

فقد أنفق الموحدون على تدعيم علاقاتهم ببعض القوى الإسلامية، لاسيما فيما يخص استقبال الرسل والوفود وما يلازم ذلك من نفقات . فعلي سبيل المثال فعندما وصل ابن منقذ [١] رسول السلطان صلاح الدين الأيوبي(٥٦٧– ٥٨٩هـ/ ١١٧١– ١١٩٣م) إلى بلاد المغرب حاملاً رسالة إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور عام ٥٨٥ هـ / ١٩٨٩م انُفق الكثير على استقبال هذا الرسول وإقامته والهدايا التي أخذها معه إلى سلطانه، ومن عطايا الخليفة الموحدى لرسول السلطان صلاح الدين لما مدحه بقصيدة تشتمل على أربعين بيتاً ألف دينار لكل بيت[٢].

ومن جانب أخر كان لانحلال دولة الموحدين وظهور بوادر الضعف بها، وما

---

[١] ابن منقذ : هو شمس الدين أبو الحارث عبد الرحمن بن محمد بن منقذ الأزدى، ولد في شيزر عام ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م وتوفى بالقاهرة عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م . وقد أرسله السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبى يوسف يعقوب المنصور عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م برسالة تتضمن طلب مساعدة بحرية لصلاح الدين في حربه مع الصليبيون في الشام، ولكن لما كان يعقوب المنصور في صراع مستمر ضد النصارى في الأندلس والثوار في أفريقية، فإنه لم يستطع إجابة هذا الطلب العزيز، أنظر : أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٧م، جـ٤، ص١٩٠-١٩٤، ابن خلدون : العبر، ص ٥١٤، سعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح الدين ويعقوب المنصور بن يوسف الموحدى، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد ٦، ٧، ١٩٥٢-١٩٥٣م، ص ٨٩ .

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٠٩، عبد القادر الصحراوي : صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور، مجلة دعوة الحق، العدد الأول يوليو ١٩٥٧ م، ص٣٣، ٣٤، محمد المنونى : حضارة الموحدين، ص ١٦.

واكب ذلك من صراعات على عرش الموحدين، وزيادة قوة نصارى الأندلس، أن بدأ خلفاء الموحدين يدفعون بعض الإتاوات ردعاً لتلك القوى النصرانية وشراءً لرضاهم، والاستعانة بهم – أحياناً – للتقوى من جانب طرف على طرف آخر .

فعندما شعر السيد أبو العلاء إدريس بوطأة القشتاليين عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م سعى إلى عقد الهدنة معهم، وبعث سفيره أبا القاسم من أجل المفاوضة، وتم الاتفاق أخيراً على أن تعقد الهدنة بين الفريقين لمدة عام واحد في مقابلة أن يدفع الموحدون مبلغ ثلاثمائة ألف قطعة مرابطية MARAVEDI من الفضة، دُفع بعضها عند توقيع الهدنة ودفع الباقي بعد ذلك . وعندما تولى الخليفة أبى العلاَ إدريس بن يعقوب المنصور والذي بويع وهو بقرطبة عام٦٢٤هـ / ١٢٢٦ م عاهلاً للبلاد و تلقب بالمأمون ... وقد بلغته وهو بالأندلس أصداء عن الناكثين لبيعته في المغرب، وهنا رأى أن من "الاحتياط" أن لا يغامر بالعودة للمغرب دون أن يتوفر على قوة عسكرية تكفل له النجاح التام لإسكات المتسلقين والطامحين، ومن ثمة فقد اتجه نحو ملك قشتاله ! وبعث بسفارة تعرض على العاهل القشتالى تجديد الهدنة السابقة إلى عام آخر، وبنفس الشروط أي مقابل دفع ثلاثمائة ألف قطعة مرابطية MARAVEDI من الفضة، ولكنه يطلب إليه في نفس الوقت عقد حلف يحصل بمقتضاه على "ميليشية" عسكرية تعبُرُ معه إلى المغرب[1].

جـ – نفقات منوعة :

حرص خلفاء الموحدين على سمعة من ينتسب إليهم، فعندما جلس الخليفة أبو يوسف يعقوب

---

[1] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢٥٠، ٢٥١، السلاوى : مرجع سابق، ص٢١١، ٢١٢، محمد عبد الله عنان : مرجع سابق، جـ٥، ص٣٦٣، ٣٦٨ .

المنصور للتقاضي والتحكيم في المسجد الجامع بين الناس، ادعى بعض العامة أن لهم أموالاً عند السيد أبى زيد مع عدم وجود أدلة على ذلك، فقام الخليفة بدفع الأموال التي أدعى هؤلاء أنها لهم عند السيد، حماية لسمعة الموحدين عند الشعب : " قال يوسف بن عمر : و لقد حضرت لأناس من السوقة والتجار، ادعوا على السيد أبى زيد فمنهم من قال : أهديت له فرساً وآخر جارية وشتى دعاوى، فكل أرضاه ووفى له ما أدعاه "[١].

كما أنفق الموحدون الكثير من الأموال على أمنهم وحصانتهم الشخصية، فمثلاً الخليفة عبد المؤمن بن على لم يكن من المصامدة وإنما كان من قبيلة كومية[٢] التي كان موطنهم بالمغرب الأوسط، إلى أن استدعاهم عبد المؤمن إلى مراكش عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م . والسبب في ذلك أنه لما همت الطائفة من الموحدين بقتله، وقتلوا الشيخ الذي فداه بنفسه وتحقق ذلك منهم ورأى أنه غريب بين أظهرهم، ليس له قبيل يستند إليه، لذلك أرسل في خفية إلى أشياخ كوميه، الذين هم قبيلته وعشيرتهم، وأمرهم بالقدوم عليه وأن يركبوا كل من بلغ الحلم منهم، ويأتوه في أحسن زىّ وأكمل عدة . وسرب إليهم الأموال والكسى فاجتمع منهم أربعون ألف فارس، ثم أقبلوا إلى عبد المؤمن – وهو بمراكش – برسم خدمته، والقيام بين يديه وبالطبع

---

[١] ابن عذارى :البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٧٣، ١٧٤.

[٢] قبيلة كوميه : هي إحدى بطون بني فاتن من البرابرة البتر، وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط القبيلة، وهي التي ينتسب إليها الخليفة عبد المؤمن، وقد أشار المراكشي إلى أنهم كانوا أصحاب فلاحة ورعاة غنم وأصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن والحطب، انظر : عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٢٧٨، ٢٧٩، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢٣٠.

احتاج ذلك الكثير من الأموال[1].

وبذلك يمكن القول بأن الموحدين قد أنفقوا الكثير من الأموال في النواحي السياسية، كان الغرض منها تدعيم سلطاتهم الداخلية، أو خدمة سياساتهم الخارجية.

رابعاً- نفقات البناء والتعمير:

اهتم الموحدون بالبناء والتعمير وقد تنوّعت هذه المباني وشملت منشآت عامة ومنشآت لخدمة مشروعات مياه الشرب واستصلاح الأراضي . وهذه المنشآت استلزمت المبالغ الضخمة حتى يتم إنجازها، ويمكن عرض كل من تلك الجوانب على حدي :

أ- الإنفاق على المنشات العامة :

كثرت نفقات الموحدين علي المنشآت العامة مثل تأسيس المدن الجديدة، بناء القصور والمنازل وأعمار المدن القديمة، كذلك إنشاء العديد من المنشآت والمرافق الحيوية التي يحتاجها أي مجتمع مثل المساجد والمدارس والمكتبات والحمامات والفنادق، بالإضافة لنفقات مشاريع المياه واستصلاح الأراضي .

١ – المدن :

لقد أنفق الموحدون الكثير من الأموال على تأسيس مدن جديدة منذ بداية دولتهم، فقد قام عبد المؤمن بن علي ببناء مدينة (البطحاء) بالمغرب الأوسط : "

---

[1] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ١٩٥، ١٩٦، ٢٧٨، ٢٧٩، السلاوى : مرجع سابق، ص ١٢٧،
-Abdallah Laroui : Op.Cit,pp.187 ,188.

وبنى – أي عبد المؤمن بن على – في رجعته هذه مدينة البطحاء" وكانت تُعرف في الجزائر باسم (السدرة) وموقعها على نهر (شلف) بالشمال الشرقي من (غليزان) وكان بناؤها في عام ٥٥٥هـ / ١١٥٩م وهو العام الذي فُتحت فيه مدينة المهدية عاصمة إفريقية [١].

كما أن عبد المؤمن بن على بعد أن اتسعت مملكته وتوطد سلطانه أمر ببناء مدينة الفتح على جبل طارق[٢]، وكان ابتداء البناء بها في ٩ ربيع أول عام ٥٥٥ هـ / ١٩مارس١١٦٠م، وأكمل بناءها في ذي القعدة من نفس العام، وأنفق في سبيل ذلك الأموال الكثيرة [٣]، يقول الحميري : " أمر – يقصد عبد المؤمن بن على – ببناء مدينة جبل طارق، فندب إليها البنائين والنجارين وقطاع الحجر للبنيان والجيار من كل بلدة وخطت فيه المدينة، وقدم إليها من المال ما يعجز كثرة " [٤].

وكما نجح المرابطون في تخليد ذكراهم ببناء العاصمة مراكش، فقد نجح الموحدين أيضاً بتخليد ذكراهم ببناء مدينة رباط الفتح، والتي أصبحت الآن عاصمة المغرب الأقصى . وتقع مدينة رباط الفتح بالقرب من مدينة سلا، وكانت في بادئ الأمر قاعدة عسكرية لتجهيز جنوده، ثم شُيد بها بعض المنشآت وسكنها الناس عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م . ثم أمر الخليفة عبد المؤمن بتطويرها ومدها بالمياه وإقامة الأسوار، ومن ثم بدأت القصبة تستقبل أفواجاً من الناس وتصبح نواة لمدينة كبيرة . حتى إذا تولى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن اهتم بتوسيعها والزيادة فيها، حيث بدأ

---

[١] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٩٩، عبد الله علام : مرجع سابق، ص٣٨٣.

[٢] صالح الأشتر : مرجع سابق، ص٢٣.

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٨٥، ٨٦، ٨٧، الحميري : مصدر سابق، ص٣٨٢، ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٩٩، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١٩، ٢٢٠.

[٤] الروض المعطار : ص٣٨٢ .

ببناء أسوارها من جهة الشمال والغرب، غير أن المنية عاجلته . ولما تولى خلفاً له المنصور الموحدى أقام فيها عدة منشآت، وشهدت المدينة على يديه تقدماً وازدهاراً[١] . وقد أمر الخليفة يعقوب المنصور أن يُطلق عليها اسم المهدية لتشابهها من حيث الموقع الجغرافي بمهدية إفريقية الواقعة ببرزخ يحيط البحر[٢]. ويرجح أن ما أنفقه المنصور الموحدى على بناء تلك المدينة كان ضخماً جداً لدرجة أنه اعترف بإحساسه بالندم قبيل وفاته لإنفاقه تلك الأموال على بناء تلك المدينة [٣].

كما يذكر ابن أبى زرع أن الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر في عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٩ م بني مدينة تسمى "وجدة"، إلا أنه لم يحدد مكانها ولا حجمها ولا مكوناتها ولا نفقاتها [٤]. إلا أن الحميري يذكر موقع هذه المدينة فيقول أنها تبعد عن تلمسان ثلاث مراحل وهي تقع علي الطريق المار من بلاد المشرق إلي بلاد المغرب الأقصى وسجلماسة[٥] . وبالرجوع لصاحب الاستبصار يتبين أن "وجدة" هذه قد تميزت

---

[١] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٢٢٢، ٢٢٣، ابن خلكان : مصدر سابق، جـ٧، ص٩، ابن الوزان الزياتى : مصدر سابق، ص٢٠٧، عبدالله على علام : مرجع سابق، ص٣٨٠، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٣٨٤، ٣٨٥، أحمد مختار العبادى : مرجع سابق، ص ١٨، محمد الأمين محمد، محمد على الرحمانى : المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص١٤٠، ١٤١،

– Abdellatif Sabbane : Op.cit ,p. 313.

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢١٤، إمبروسيو هويثى ميراندا : التاريخ السياسى، ص ٣٤٨ . انظر شكل رقم (٦ – د)

[٣] ابن أبى زرع، مصدر سابق، ص٢٣٠، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١٩، ٢٢٠، على محمد الصلابى : دولة الموحدين، ص١٨٩.

[٤] الأنيس المطرب : ص٢٣٣.

[٥] الروض المعطار : ص٦٠٧، ٦٠٨.

بالازدهار الحضاري والضخامة مما يدل علي كثرة ما أُنفق عليها[١].

كما ينفرد ابن الوزان بذكر بعض المدن المغربية التي أنشأها الموحدون، والتي لم يرد ذكرها في المصادر الأخرى التي اطلعت عليها . فيذكر من تلك المدن التي استجدها الموحدون : " مدينة المعدن العوام "، والتي بناها خازن الخليفة عبد المؤمن على نهر الرقراق [٢]. وكذلك"مدينة فنزارة" التي بنهاها أحد ملوك الموحدين، على مسافة عشرة أميال من سلا [٣] . كما يذكر أيضاً مدينة تسمى "معمورة"، بناها أحد ملوك الموحدين عند مصب نهر سبو [٤].

---

[١] مجهول : الاستبصار، ص١٧٧.

[٢] وصف أفريقيا : ص ٢٠٩، ٢١٠ .

[٣] ابن الوزان الزياتى : المصدر السابق، ص ٢١٤، ٢١٥ .

[٤] المصدر السابق : ص ٢١٦،

وكانت أطلال هذه المدينة ما تزال ماثلة عند نهر سبو عندما كان البرتغاليون الذين سموها "معمورة أفلها" أي المعمورة العتيقة يجهزون حملة في هذه المنطقة . ولكن هذه الأطلال اختفت الآن تماماً، والمسافة المذكورة هنا وهى ٢,٥ كم من البحر تطابق تقريباً موقع بيرنقطة، كما ذكر أن الموحدين بنوا مدينة تسمى "القصر الصغير" بنيت هذه المدينة الصغيرة على يد المنصور ملك مراكش وخليفتها، على ضفة المحيط على مسافة أثنى عشر ميلاً من طنجة وثمانية ميلاً من سبتة، وقد أسسها نظراً لحاجته للذهاب إلى غرناطة في كل عام مع جيشه من الممكن أن يكون يعقوب المنصور قد نظم هذا القصر، كما فعل في بقية المدن الواقعة في طريق المراحل بين الرباط وأسبانيا . ولكن طارق بن زياد أبحر من هذا الموقع نفسه في عام ٧١١م، وأن هذا القصر كان يدعى منذ زمن طويل قصر المجاز العبور أو قصر مصمودة، أنظر : ابن الوزان الزياتى : مصدر سابق، ص٣١٧ .

٢- القصور والمنازل :

بني الخليفة عبد المؤمن بن على ببلاد الجزائر قصر (المشور) الذي أقامه في عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م بمدينة تلمسان ليكون مقراً للاجتماعات التي كثيراً ما كان يعقدها عبد المؤمن بن على مع شيوخ الموحدون عقب مهلك السلطان تاشفين ملك المرابطين بوهران عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م . وعمد عبد المؤمن إلى تجديد كثير من أبنية بلدة (تاجرا) – مسقط رأسه ببلاد الجزائر[١]. كما بنى الخليفة عبد المؤمن أمام مدينة سلا من الشط الجنوبى على النهر والبحر المحيط قصراً عظيماً واختط لخاصته حوله المنازل[٢].

كما أن مدينة مكناسة التي يُرجح أن الموحدين دمروها كلياً أثناء فتحهم لها قد أعادوا اعمارها بشكل كلى، وبعدها حملت اسم " مكناسة تاكزارت" [٣]. كما حظيت العاصمة مراكش باهتمام الخليفة عبد المؤمن بن على فقد شيد بها الكثير من القصور [٤]. كما أن الخليفة عبد المؤمن أمر أثناء

حملته على المهدية عام ٥٥٥هـ/ ١١٥٩م، بتوسيع وتعمير مدينة زويلة بعد أن تركها النصارى[٥].

---

[١] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٨٩، عبد الله علام : مرجع سابق، ص٣٨٣.

[٢] القزوينى : مصدر سابق، ص١١١.

[٣] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٩١، السلاوى : مرجع سابق، ص ١٠٤ .

[٤] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ١٧٥.

[٥] الزركشى : مصدر سابق، ص١١، ميخائيل أمارى : المكتبة العربية الصقلية (نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع)، مكتبة المثنى ببغداد، ليبسك ١٨٥٧ م، ص ٥٣٣ .

وفى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٧م أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أثناء غزوة لصنهاجة ببناء الدور والبيوت السكنية في رباط هسكورة [١]. وفى عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣ – ١١٨٤م قرر يوسف بن عبد المؤمن القيام بإصلاحات عمرانية في مراكش، حيث أمر بهدم جزء من أسوارها ورفع أسوار أخرى ذات محيط أوسع، وكانت المدينة آنذاك تعرف جواً من الأمن والاستقرار، مما أدي إلي زيادة عدد سكانها، ومن هنا اضطر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى تكليف ابنه المنصور بالإشراف على هذا المشروع، فلما توفى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وتولى خلفا له المنصور الموحدى عام٥٨٠هـ/ ١١٨٤م أكمل هذه المنشآت [٢].

وقد حظيت الأندلس باهتمام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أيضاً، ففي عام٥٦٧هـ/ ١١٧١م حين توجه إلى أشبيلية أمر بعض عرفاء البناء [٣]ببناء القصور وعرفت تلك القصور بـ"البحيرة"، وأن تحاط هذه القصور بمساحات واسعة من الحدائق والتي غرس بها الزيتون والأشجار والأعناب، وقد تكّلف ذلك أموالاً

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٣٧ .

[٢] المصدر السابق : ص ١٥٣، ١٥٤، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٣٨١، ٣٨٢، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص٢٨٠.

[٣] العرفاء : جمع مفردها العَريفُ وهو في اللغة "العالم بالشئ" أي النَّقِيب وهو دون الرئيس، وقد عرف هذا اللفظ في التاريخ الإسلامي كاسم لوظائف مختلفة كعرفاء الحرف والصناعات، مثل عريف الصاغة أو عريف السقائين أو عريف البنائين وهو ما يقصد في المتن، انظر : ابن منظور : مصدر سابق، جـ ٩، ص٢٣٦، محمد محمد الكحلاوى : عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية، بحث في (ندوة الأندلس : قرون من التقلبات والعطاءات)، القسم الثالث الحضارة والعمارة والفنون، الرياض ١٩٩٣ م ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦ م، ص ٢٠٢.

طائلة صرفت من خزينة الدولة [١].

ثم تابع الخليفة الموحدى المنصور سياسة والده في الإنشاء والتعمير، يقول ابن أبى زرع :" وبنى المنازل من سوس الأقصى إلى سويقة بني مكتود "[٢] . وبعد ما تبين له أن قصر الحجر مقر إقامة جده ثم والده لم يعد يفي بالمطلوب ليؤويه وخلفاءه من بعده، قرر إنشاء حي إمبراطوري خاص أطلق عليه اسم "الصالحة" وحتى يكون في مستوى ما يطمح إليه استقدم للمساهمة في تشييده الصناع والبنائين من مختلف مملكته. وقد بدأت أعمال البناء في حي الصالحة يوم الخميس فتح رجب ٥٨١هـ / ٢٨ سبتمبر ١١٨٥م، أما الانتهاء منها فكان في ربيع الأول ٥٨٤هـ / مايو ١١٨م، وبلغ مجموع المباني التي تضمنها الحي أثنى عشر بين قصر ومسجد [٣] . ولعل حي "الصالحة " هذا هو الحي الذي أطلق عليه العمري اسم " بتا مَرّاكش" ووصفه بأنه حي تكثر فيه الدور العظيمة [٤].

ولما استقامت الأحوال للخليفة الرشيد بن المأمون بن المنصور (٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٢-١٢٤٢م) أمر ببناء الدور لموظفي الدولة وحاشيته [٥] . كما أن الخليفة أبو حفص عمر المرتضى (٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م) أعطى الأوامر لترميم قصر المجالس وإدخال إصلاحات عليه تسمح باحتضان مجالس اللهو، في

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ١٢١، السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٥م، ص٢٠١ .

[٢] الأنيس المطرب : ص٢١٨.

[٣] ابن عذارى : مصدر سابق، ص ١٧٤، الحميري : مصدر سابق، ص ٣٥٤، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص ٣٠٩ .

[٤] مسالك الأبصار: ص١٩٨.

[٥] ابن عذارى : مصدر سابق، ص ٣٥٩.

نفس الوقت بدأ بتشييد القصور لأبنائه الكبار والتي نذكر من بينها "دار العرائش" و" دار البلار" والمباني التي تجاورها والتي توجد كلها بحي أبى دانس، وقد أنفق على ذلك الأموال الكثيرة [١]. كما بني الموحدون مساكن كثيرة لموظفي الدولة لاسيما في الأندلس، حيث يقدر المقري دور الموظفين في قرطبة في أيام الموحدين بستة آلاف وثلاثمائة دار [٢].

٣- المساجد :

أنفق الموحدون كثيراً من الأموال على إنشاء المساجد وتجديدها [٣]، فقد بني الخليفة عبد المؤمن بن علي مسجد مدينة تينملل[٤]، وذلك في عام٥٤٨هـ/ ١١٥٣م تبعاً

لأصح الروايات [٥] . وكذلك بني عبد المؤمن الجامع الكبير (بندرومة) [٦]. ثم شرع

---

[١] المصدر السابق : ص ٤٠٩، إمبروسيو هويثى ميراندا : المرجع السابق، ص ٥٣٣.

[٢] المقري : مصدر سابق، جـ١، ص ٥٤٠،عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٩٢ .

[٣] - Abdellatif Sabbane : Op.Cit ,p. 313.

[٤] انظر شكل رقم (٧ – د)، =

= وتينملل : كلمة بربرية مؤلفة من شقين : تين بمعنى ذات، وملل بمعنى المدارج أو الحواجز التي توضع في سفوح الجبال لجعلها صالحة للزراعة والسقي، وهذه القاعدة الجبلية الحصينة في جبال أطلس كانت مهد دولة الموحدين، وبها بني المهدي بن تومرت داره ومسجده ثم دفن بها بعد مماته، أنظر : مجهول : الاستبصار، ص٢٠٨، ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص ٣١٥، أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب، ص٢٩٦.

[٥] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٩٤، عبد الله على علام : مرجع سابق، ص٣٧٧.

[٦] المرجع السابق : ص٣٨٣ .

الخليفة عبد المؤمن في بناء جامع كبير هو جامع الكتبيين وذلك في عام٥٥٣هـ/١١٥٧ م ، وحشد له مجموعة كبيرة من الصناع وتم بناؤه في فترة قصيرة، وقد سمى بجامع الكتبيين نسبة إلى باعة الكتب الذين كانوا يروجون بضاعتهم بجانب المسجد . ثم أمر المنصور الموحدى في عام ٥٩١هـ/ ١١٩٤م ببناء مئذنة كبيرة له وجعل طولها مائة ذراع وعشرة أذرع . ويبدو أن عبد المؤمن بن على اعتمد على الأموال التي غنمها من المرابطين في إنشاء هذا المسجد[١].

وامتد اهتمام ولاة الأمر إلى بناء المساجد في المدن المغربية الأخرى، وقد ظهر ذلك واضحاً حين أمر الخليفة عبد المؤمن بن على ببناء المساجد في جميع أرجاء البلاد : " ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة فيها أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بإصلاح المساجد وبنائها في جميع بلاده"[٢].

وفى عام٥٦٧هـ/ ١١٧١م أمر يوسف بن عبد المؤمن ببناء الجامع المكرم بإشبيلية وعدة منشآت أخرى، وأنفق في سبيل ذلك أموالاً جمة[٣] . حتى إذا تولى المنصور اهتم اهتماماً كبيراً بالبناء المساجد وتعميرها، فبجانب بناء منارة ضخمة لمسجد الكتبيين، فإنه أمر– أي يعقوب المنصور – ببناء مسجد كبير بالضاحية الجديدة التي جعلها امتدادا لمدينة مراكش، وكان ذلك عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، كما أنه أثناء وجوده

---

[١] مجهول : الاستبصار، ص٢٠٩، محمد محمد الكحلاوى : مرجع سابق، ص٢٠٦، ٢٣٢، عبد الله على علام : مرجع سابق، ص ٣٧٤، محمد الأمين محمد وآخرين : مرجع سابق، ص ١٤٠، ١٤١، يوسف أشباخ : مرجع سابق، ص ٢٥٣ . أنظر شكل رقم (٤ – د) .

[٢] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص١٩٥، السلاوى : مرجع سابق، ص١١٢.

[٣] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٢١، ١٢٢، يوسف أشباخ : مرجع سابق، ص٢٥٤، ٢٥٥، حسن على حسن : مرجع سابق ، ص ٢١٩، ٢٢٠، محمد الأمين محمد وآخرين : مرجع سابق، ص ١٤٠، ١٤١.

بإشبيلية تمّ أعمال البناء في جامع أشبيلية وتشييد منارته، وصنع له التفافيح الذهبية التي تكلفت كثيراً، وقد بلغ قيمة ما موهت به من الذهب مائة ألف دينار ذهباً، وكان أكثر نفقات ذلك الجامع من غنائم معركة الأرك [١].

وفى عام٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م أمر الخليفة الناصر ببناء مصلي عدوة القرويين بمدينة فاس[٢]، كما يذكر ابن غازي أن زيد في الجامع الأعظم بمدينة مكناسة زيادة ظاهرة عام٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، وهذا يعنى أنه بني قبل هذا التاريخ، أوائل هذا العصر أو آخر عهد المرابطين : " وزيد بعد الستمائة في جامعها الأكبر زيادة ظاهرة " [٣] . كما رمم وشيد المرتضى عدداً من البنايات داخل قصبة مراكش كان أولها مسجد على بن يوسف[٤].

٤– المدارس :

اهتم الموحدون ببناء المدارس[٥]في عدة مدن مغربية، فالمنصور الموحدى بني عدة

---

[١] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢٢٩، ميخائيل أمارى: مرجع سابق، ص ٦، السيد عبد العزيز سالم : مرجع سابق، ص١٧١، ١٧٢، محمد محمد الكحلاوى : مرجع سابق، ص٢١٧ .

[٢] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢٣٣.

[٣] الروض الهتون : ص٧٤،٧٥ .

[٤] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠٩، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق ، ص ٥٣٣.

[٥] كان بناء المدارس في تلك الفترة يتكون من طابقين وفي وسطه صحن مكشوف، وكانت بعض المدارس متصلة بالمساجد المجاورة لها والبعض الآخر مستقلاً، كما كانت تشتمل على عدة غرف وقاعة كبيرة للدروس، انظر : السيوطي : البستان في أخبار الزمان، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٢٠٢٤ تاريخ، ورقة ٣٠، محمد الأمين محمد وآخرين : مرجع سابق، ص١٤٠، ١٤١، حسن على حسن :

مدارس في أنحاء متفرقة من البلاد[١] خاصة في مدينة سلا [٢]. كما أن الناصر الموحدى قد بني عشرين مدرسة[٣]. ومن المدارس التي نسبها المؤرخون للموحدين أيضاً مدرسة المسجد الأعظم بالطالعة، وقد انطمست معالمها . كما أُلحق بمعظم تلك المدارس المكتبات "خزائن الكتب"، سواء المكتبات المتنوعة أو المتخصصة في مجال معين، مثل خزانة المصاحف الشريفة في جامع المنصور بمراكش القديمة[٤].

٥ – البيمارستانات[٥]:

لم تشر المصادر إلى إنشاء المرابطين بمارستانات عامة، يتوجه إليها المرضى للعلاج . فلما قامت دولة الموحدين، اهتم المنصور الموحدى بإنشاء بيمارستان كبير،

مرجع سابق، ص ٤٠١ .

[١] ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص ٢١٧ .

[٢] محمد المنونى : معالم ثقافية في مراكش الموحدية، في (أبحاث مختارة، منشورات وزارة الشئون الثقافية مطبعة دار المناهل، ٢٠٠٠م)، ص٣٠ – ٣٢، حمدي عبد المنعم محمد حسين : مدينة سلا، ص٧٠ .

[٣] السيوطي : البستان، مخطوطة، ورقة ٣٠ .

[٤] محمد المنونى : مرجع سابق، ص٣٠ – ٣٢، حمدي عبد المنعم محمد حسين : مدينة سلا، ص٧٠ .

[٥] بيمارستان : لفظ فارسي مركب من : بيمار ومعناها مريض، وأستان بمعنى محل، واتصل هذا المصطلح منذ العهد الأموي بالأماكن المعدة لمعالجة المرضى . وأول من أقام بيمارستاناً لهذه الغاية من حكام المسلمين الوليد بن عبد الملك٩٦هـ/ ٧١٥م، حيث جعله للأبرص والمقعد والأعمى . ثم توالى من بعده الحكام بإنشاء البيمارستانات، كتلك التي أنشأها العباسيون في بغداد ومصر . وقد أخذت أقسام البيمارستانات بالإتساع لتشتمل أقسامها على أقسام خاصة بالعمل الجراحى، وأخرى للأمراض الباطنية وأمراض النساء والرمد، وكان يصرف عليها من ميزانية الدولة ممثلة ببيت مال المسلمين، انظر : الصفدى : الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط – تزكى مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، جـ٢٩، ص٥، مصطفى عبد الكريم الخطيب : مرجع سابق، ص٩٦، محمد احمد دهمان : مرجع سابق، ص ٤١ .

وجهزه بكل أنواع العلاج، وحشد مجموعة من الأطباء، وذلك للسهر على راحة المرضى، وكانت نفقاته اليومية ثلاثين ديناراً، وبذلك يتكلف المستشفى وحده من النفقات سنوياً ما يقرب من أحد عشر ألف ديناراً[١].

٦ – الحمامات :

اهتم الموحدون ببناء الحمامات [٢]، وقد أُنشئ منها الكثير في عهد الناصر الموحدى، يقول السيوطي : " وبني –الناصر الموحدى – من الحمامات ثلاثاً وتسعين وثلثمائة " [٣]، وهو رقم يبدو عليه طابع المبالغة . أما مدينة مكناسة فكان عدد الحمامات بها في عهد الموحدين ثلاث حمامات، يقول ابن غازي : " وكان بهذه المدينة في أيام الموحدين ثلاث حمامات البالي والجديد والصغير، وهى باقية لهذا العهد " [٤] .

٧ – الفنادق :

كذلك أنفق الموحدون الأموال في بناء عدة فنادق بمدينة مراكش، من ذلك ما أمر الخليفة المنصور الموحدى بإنشاء العديد من الفنادق والأسواق، والتي قصدها

---

[١] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٢٣٧، الصفدى : مصدر سابق، ص٥، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢١٩، ٢٢٠، على محمد الصلابى : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ص ١٦٣.

[٢] أما النظام المتبع في بناء الحمامات في تلك الفترة، فكان قوام الحمام قاعة رئيسية لخلع الملابس وفيها تقوم أعمدة، وهناك قاعتان أخريان إحداهما للماء المتوسط الحرارة والأخرى للماء الحار، انظر : حسن على حسن : مرجع سابق، ص٤٠٢، ٤٠٣ .

[٣] السيوطي : البستان، مخطوطة، ورقة ٢٩.

[٤] الروض الهتون : ص ٧٤، ٧٥ .

التجار من كل ناحية. أما مدينة رباط الفتح والتي وضع نواتها الخليفة عبد المؤمن وأكملها ابنه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، فقد أُنشئت بها الفنادق . أما مدينة قصر صنهاجة، والتي تعرف بقصر عبد الكريم وموقعها في شمال البلاد، فقد أنشئ فيها فندقان وقصدها التجار[١].

أما في عهد الناصر فقد بلغ عدد الفنادق والتي أُنشئت للتجار سبعة وستين وأربعمائة [٢].

بالإضافة إلى ما سبق اهتم الموحدون ببناء الصوامع الضخمة، لاسيما الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور [٣] . كما يذكر المؤرخون كثرة وجود الأرحاء في بلاد المغرب[٤] .

ب – المشروعات المائية واستصلاح الاراضي:

لقد شهد العصر الموحدى جهوداً كثيرة لتوفير المياه سواء للشرب أو الزراعة، فاستنبطوها من باطن الأرض وجلبوها من أماكن توفرها إلى مناطق الزراعة . فلقد جلب عبد المؤمن المياه إلى مراكش وسلا والرباط [٥]. وجر يوسف المياه إلى اشبيلية وفاس وسبتة والرباط . وفعل المنصور الشئ ذاته في مراكش وفاس . ويبدو أن الأماكن التي جُرّت منها المياه كانت بعيده، فمياه اشبيلية كانت من قلعة جابر، ومياه

---

[١] مجهول : الاستبصار، ص١٤٠، ٢١٠، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٤٠٣، ٤٠٤ .

[٢] السيوطي : البستان، مخطوطة، ورقة٢٩.

[٣] ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٦٥، السلاوى : مصدر سابق، ص١٧٧.

[٤] الحميري : مصدر سابق، ص٥٤٤.

[٥] البيذق : أخبار المهدي، ص٧٣، الحميري : مصدر سابق، ص ٥٤٠، ٥٤١.

سلا من عين غبولة، ومياه الرباط من مكان يبعد نحو عشرين ميلاً، وتلك التي جُلبت إلى سبتة كانت تبعد نحو ستة أميال [١].

كما حظيت فاس باهتمام الناصر الموحدى، حيث أمر عام٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧م بعمل السقاية بعدوة الأندلس وجلب إليها الماء من عين خارج المدينة، يقول ابن أبى زرع : " وفى شوال من سنة أربع المذكورة، خرج أمير المؤمنين – الناصر – من مدينة فاس إلى حضرة مراكش، بعد أن أمر بعمل السقاية بعدوة الأندلس منها، وجلب إليها الماء من عين بخارج باب الحديد ....وأنفق في ذلك أموالا كثيرة من بيت المال " [٢].

أما مدينة مكناسة فإن الموحدين قد جلبوا لها الماء من عين خارجها على بعد ستة أميال منها من موقع يسمى تاجما[٣] . وهكذا بذل الموحدون جهدهم في سبيل توفير المياه في العديد من المدن المغربية.

وبذل الموحدون الكثير من الأموال للحفاظ على تلك المياه المجلوبة للمدن المغربية، فكانت المياه تحفظ في آبار أو صهاريج [٤]، وكانت الصهاريج أكثر شيوعاً .

---

[١] مجهول : الاستبصار، ص ١٣٧، ١٣٨، ابن أبى زرع : مصدر سابق، ص٢٣٣، الجزنائى : مصدر سابق، ص ٨٢، السلاوى : مرجع سابق، ص١٠٦، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٣٨٧، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٨١، ١٨٢. وانظر شكل رقم (٩ – د) .

[٢] الأنيس المطرب : ص٢٣٣ ، الجزنائى : مصدر سابق، ص ٨٢، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٣٨٧.

[٣] ابن غازي : مصدر سابق، ص٧٤، ٧٥ .

[٤] الصهريج : في لغة أهل المغرب البركة وهى بركة عظيمة عليها سور وباب يصب فيها النهر الثاني الداخل إلى مراكش، وفيها يوزع بقياس معلوم على قصور الناس، ثم ينحدر بقية الماء في نهر يشق المدينة من جهة أخرى في وسط الأسواق وما يمر، أنظر : العمري : مصدر سابق، ص ٢٠١.

وقد بني عبد المؤمن عدداً منها في مراكش، وشيد يوسف عدداً آخر في مراكش والرباط، وأقام المنصور عدداً آخر أيضاً في كل من مراكش ومكناسة وفاس [١]. كما أنشأ الخليفة المنصور الموحدى ساقية كبيرة في مراكش لسقاية الناس والخيل والدواب وذلك عام٥٨٥ هـ/ ١١٨٩ م [٢].

من جهة أخري اهتم خلفاء الموحدين بغرس البساتين وزراعة الفواكه بها، حيث قام الخليفة عبد المؤمن ومن جاء بعده بغرس البساتين المختلفة التي كانت تنتج مختلف الثمار . ويخبرنا البيذق في هذا الإطار أنه أثناء عودته من سلا عام٥٥١ هـ/ ١١٥٦م شيد بضواحي مراكش حديقة شنطولية غرس بها كل ما يخطر على البال من الأشجار المثمرة، وجلب إليها قنوات المياه من أغمات، كما حفر بها عدداً من الآبار والسواقي [٣]. وبجانب هذا البستان كان هناك بستان الصالحة الذي أنشأه الخليفة عبد المؤمن وهو بستان كبير من جملة بساتين أجدال بمراكش ولا زال مشهوراً بهذا الاسم إلى الآن[٤].

فلما تولى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن اهتم بغراسة البساتين كوالده، يقول صاحب الاستبصار : " وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب بحائر مثلها في الغرس

---

[١] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص ٣٥٩،٣٦٠، مجهول : الاستبصار، ص ٢٠٩، ٢١٠، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٣٨٦، عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي، ص١٨٢.

[٢] مجهول : الاستبصار، ص ٢١٠.

[٣] أخبار المهدي : ص٧٩.

[٤] محمد المنونى : العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، ص٢٤٠، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٢٤٥.

بل أجمل، وجلب لها المياه وأخذها في صهاريج أعظم من المتقدمة "[١] . حتى إذا تولى المنصور الموحدى غرس بستاناً كبيراً طوله أثنا عشر ميلاً، وعلى إحدى جانبيه مجموعة كبيرة من أشجار النارنج يبلغ عددها أربعمائة شجرة بين كل أثنين إما ليمونة وإما ريحانة [٢].

ولم يكن اهتمام الموحدين بالغراسة قاصراً على العاصمة وما حولها، وإنما تعداه إلى المدن المغربية الأخرى، فقد كثرت البساتين في مدينة فاس[٣]. كذلك مدينة مكناسة التي زرع فيها الموحدون بساتين وبحائر عظيمة في غاية الاتساع وجلب لها ماء نهرها، وأمرو بغرسها زيتوناً وكروماً[٤] .

ولم يكن استصلاح الأراضي وغرسها مقصوراً على ما يأمر به الخلفاء، بل كان ولاة الموحدين يهتمون بذلك أيضاً، فالوالي محمد بن عبد الله بن واجاج أكثر من غراسة مكناسة بشجر الزيتون حتى عُرفت باسم مكناسة الزيتون، وبالإضافة إلى ذلك اشتهرت بزراعة مختلف أنواع الفاكهة، وأصبحت مقصد التجار ومنزل المسافرين، مما أدى إلى تحضيرها بعد أن كانت تتصف بالبداوة [٥].

---

[١] الاستبصار : ص ٢١٠.

[٢] محمد المنونى : مرجع سابق، ص٢٤١، حسن على حسن : مرجع سابق، ص٢٤٥.

[٣] مجهول : الاستبصار، ص ١٨٧.

[٤] الحميري : مصدر سابق، ص٥٤٤.

[٥] ابن غازي : مصدر سابق، ص٥٠، هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، ص ٣٨٩، ٣٩٠.

خامساً – النفقات الاجتماعية :

مثل الإنفاق علي الأعمال الاجتماعية أو أعمال الخير جزءاً هاماً من نفقات الدولة الموحدية، خاصة تلك العطايا والمنح التي كانت تعطي للعلماء والصالحين والفقراء، بالإضافة للأموال التي كانت تُستخدم للتعويضات وتلك التي تُستخدم للنجدة وقت الأزمات.

أ – عطايا ومنح خاصة للعلماء والصالحين والفقراء :

ومن النفقات الموحدية المنح الخاصة التي كانت تمنح للفقراء والعلماء والصالحين، فقد كان من المتبع عند جلوس الخليفة الجديد أن تترك المكوس المتأخرة، وأن يوزع بيت المال مبالغ كبيرة على الفقراء' فأبن الخطيب يصف عبد المؤمن بـ" وكانت مواهب عبد المؤمن له جَزلْة، وأعطياتُهم مُترافِهة كثيرة "[1].

كما أن الخليفة عبد المؤمن حين نزل مدينة بجاية سأل عن أهل بيت، فأخبروه بوفاة صاحبه وقد ترك امرأة وأربعة أبناء فأمر لهم بأرض للحرث وأعطى كل واحد منهم ألف رأس من الغنم وألف من البقر وأربعة آلاف دينار، وكتب لهم ظهيراً بالعز والأمان والإحسان وتقديمهم حكاماً على قومهم . ومن عطايا عبد المؤمن أيضاً عطاياه لمرأة صالحة ساعدته في أول أمره، فلما تولى الحكم أعطى هذه المرأة ثوياً وألف دينار[2].

---

[1] الإحاطة : جـ١، ص ١٨٤، السلاوى : مرجع سابق، ص١٤٢، يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

[2] ابن القطان : مصدر سابق، ص ١٧٦، ١٧٧، ابن عذارى : البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٨٠، ٨١.

ويروى ابن القطان عن الخليفة عبد المؤمن بن على أنه كان يتفقّد من يقف ببابه طلباً للمسألة، ثم يغلق الباب على غفلة من الناس ويحص من حضر، فيعطى لكل واحد منهم عشرة دنانير، وكان يفعل هذا في العام مراراً كثيرة، وربما فعل ذلك كل شهر [١] . ويُروى عنه أيضاً أنه تذكر ما يحدث بالأندلس بين المسلمين ونصارى الأندلس من حروب، فتذكر موقعة أقليش التي هزم فيها المسلمون الأدفونش [٢] ؛ فأمر وزيره أبى جعفر بن عطية[٣] بالبحث عن أي شخص حضر هذه الوقعة ليرويها له ؛ وبالفعل أحضر الوزير لمجلس الخليفة شيخان هما عبد الله بن زيدون وعمر بن تورزجين وهما من أشياخ لمتونة ؛ في حضور أشياخ جند الجيش الموحدي، فسألهما الخليفة عما شاهداه من تلك الحروب، فحكياها من أولها إلى آخرها . وعند تمام حكايتها أعطى لأبن زيدون خمسمائة دينار ولأبن تورزجين خمسمائة دينار، وأعطى لأشياخ الحاضرين في المجلس لكل واحد مائة دينار[٤].

وبجانب ذلك كان عبد المؤمن بن على يكرّم العلماء والشعراء، فقد أعطى للطلبة قروضاً لا ترد لرفع مستواهم المادي المتردي بعدما رأى بعضهم بثياب بالية، لذلك أسلف من مال المخزن لكل واحد منهم ألف مثقال ذهبي[٥] .

---

[١] ابن القطان : مصدر سابق، ص ١٧١، ١٧٢.

[٢] الأدفونش : لقب ملوكي تسمى به ملوك طليطلة وبرشلونة وقشتالة وأليون وأرغون والبرتغال بالأندلس وعرفوا به، وهو من نصارى الفرنج، وأهل المغرب يسمونه (الفنش) بضم الفاء ويلفظ أيضاً أذفونش، انظر : القلقشندى : صبح الأعشى، جـ١٥، ص١٩، ٢٠.

[٣] أحمد بن عطية ثاني وزير للخليفة عبد المؤمن بن على بعد وزيره الأول أبو حفص عمر، وقد جمع أحمد بن عطية بين الوزارة والكتابة، واستمر في هذا المنصب إلى أن قتله عبد المؤمن بن على في عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨م، انظر : عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

[٤] ابن القطان : مصدر السابق، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

[٥] ابن عذارى : مصدر السابق، ص٨١،

ويبدو أن طلبة الموحدين كانوا ذات مكانة خاصة عند عبد المؤمن على وخلفائه، فيذكر البيذق عطايا ومنح الخليفة عبد المؤمن بن على لطلبة الموحدين، فبعد أن أسقط عنهم السلاح أنعم عليهم بالتحف من المخزن من الأعشار وغيرها من العطايا الجزيلة والكسوات فى كل عام حيث كانوا، وكان ذلك دأبه وعادته معهم دون غيرهم من طلبة المصامدة [١] . كما منح أحد الشعراء ألف دينار على بيت يمدحه فيه :

ما هز عطفيه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

، وحين مدحه أبو القاسم بن مسعدة أمر وزيره بكتابة اسمه وقال له : إنما اسم هذا في جملة الحساب، وأجزل صلته وأمر له بضيعة [٢]، كما أن القاضي أبو العباس بن صقر كان يصله من عبد المؤمن بن على صلات وعطايا جزلة ومتوالية، وصلت في بعض الأحيان إلى خمسمائة دينار في المرة الواحدة [٣] .

واتبع خلفاء الموحدون سياسة الخليفة عبد المؤمن بن على في منح الأموال للفقراء وغيرهم، فقد منح الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أحد الفقراء بمدينة المهدية مائتي دينار، فضلاً عن ثلاثمائة مثقال لبناته، كذلك أنعم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على كثير من العلماء والكتاب عام ٥٦٦هـ

-Abdellatif Sabbane : Op.Cit ,p. 312.

[١] البيذق : المقتبس، ص ٥٨، ٥٩،

- Abun-Nasr. Jamil. M : Op.Cit, pp.94 .

[٢] الصفدى : الوافي بالوفيات، جـ١٩، ص ١٥٦، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢٢٤.

[٣] ابن فرحون : مصدر سابق، ص١١٨ .

/ ١١٧٠م، حين شفى من مرضه ومن هؤلاء الكتاب ابن صاحب الصلاة الذي أرّخ لدولتهم [١].

ومنح المنصور الموحدى أموالاً ضخمة للفقراء والمساكين، فقد بدأ الخليفة يعقوب عهده بعمل خير مشكور، فأخرج من بيت المال مائة ألف دينار من الذهب، فُرقت في أسر الفقراء والضعفاء في سائر الأنحاء، حيث أخرج منها للعامة نصفها والباقي علي قرابته[٢] . ويذكر القزوينى أن الشيخ الصالح سنى بن عبد الله المراكشي استعان به الخليفة يعقوب المنصور للدعاء من أجل ثبات نزول المطر وقت الجفاف، مقابل حصوله على مائة ألف دينار . فرقها على

المحتاجين والمساكين [٣].

وعندما بدت على المنصور علامات المرض والإنهاك بعد عودته من الأندلس الناجمة عن الحملات طويلة الأمد التي قام بها، وبعد أن زكى ابنه الناصر على ولاية العهد، انسحب من الحياة العامة مخصصاً وقته للتعبد ولأعمال البر والإحسان . ومن جملة ما قام به في هذا الاتجاه بعد شهور قليلة من رجوعه من الأندلس عام٥٩٥هـ/١١٩٨م، إصدار أمر بتختين من لم يختن بعد من أطفال مراكش، ووضع دينار ذهبي ودرهم فضي وفاكهة في يد كل واحد منهم، وكانت الغاية من منحهم النقود تغطية نفقات العلاج [٤]. كما كان الخليفة يعقوب المنصور راعياً للعلم

---

[١] حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢٢٤.

[٢] عبد الواحد المراكشي : المعجب، ص ٢٣٧، محمد المنونى : حضارة الموحدين، ص ١٥، ١٦،

- Abun-Nasr. Jamil. M : Op.Cit, pp97,100.

[٣] آثار البلاد : ص١١٢.

[٤] الذهبي : تاريخ الإسلام، جـ٤٢، ص ٢٢٢، إمبروسيو هويثى ميراندا : مرجع سابق، ص ٣٧٢.

والعلماء أيضاً، فقد وصل للقاضي الصقلي من يعقوب المذكور فقط (١٩٠٠٠ دينار) خارجاً عن الخلع والمراكب والإقطاع [١].

ب – أموال للتعويضات والنجدة :

قام الموحدون بإخراج الكثير من الأموال على شكل تعويضات لمن أخذت الدولة أملاكهم للاستفادة منها للصالح العام، فقد عوض الموحدون أهل اشبيلية عن أملاكهم التي أخذتها الدولة من أجل بناء قصبة اشبيلية، ويبدو أن تلك التعويضات كانت ضخمة، لدرجة أن الناس في اشبيلية استغنوا في عهد الثلاث خلفاء الأوائل من الموحدين بسبب هذه التعويضات، يقول ابن عذارى : " ولم يزل الناس يتشكرون من هذا العوض مدة الخليفة الأول والثاني والثالث، وهم ينظرون لهم، إلى أن طال الزمن، وأرضاهم الإحسان" [٢].

كما دفع الخليفة أبو يعقوب يوسف تعويضات مالية على شكل أراضى وأموالاً ضخمة من أموال المخزن لأصحاب الأراضي والبساتين التي أخذها الموحدون لبناء قصور وبساتين البحيرة خارج اشبيلية عام٥٦٧هـ/ ١١٧١م بأمر من الخليفة نفسه، وقد بلغت تعويضات أحدهم أراضى اشتراها له الخليفة بـ ٣٠٠٠ مثقال ذهبية بدلاً لما أُخذ منه من أراضى [٣].

كما دفع الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور تعويضات للقبائل التي أُخذت أراضيهم لبناء

---

[١] محمد المنونى : حضارة الموحدين، ص ١٦ .

[٢] البيان المغرب : قسم الموحدين، ص٣٩ .

[٣] ابن صاحب الصلاة : مصدر سابق، ص٣٧٤، ٣٧٥ .

العاصمة مراكش رغم بعد الفترة الزمنية، فعندما رجع المنصور من غزوة الارك ونزل بإيجليز استدعى أشياخ المصامدة فقال لهم لمن كان هذا الموضع الذي بنيت فيه مراكش، فقالوا له نصفه لهيلانة ونصفه لهزميرة، فأمرهم بإحضار أصحابه فأتوه بأعداد كبيرة من تلك القبائل فأعطاهم ثمنه ، ولم يدخل مراكش إلا بعد سداد هذه الأموال لأهلها [١].

كما كانت هناك معونات عاجلة تصرف لأهل المدن التي يصيبها العدو بأضرار جسيمة، فأهل زويلة وهى مدينة قريبة من المهدية، حين استنجدوا بالخليفة عبد المؤمن بن على لما أصابهم على يد الفرنجة، وعدهم بالتأييد والمعونة وصرف لهم معونة عاجلة مقدارها ٢٠٠٠ دينار[٢] . كذلك حين استغاث أهل قونكة بالأندلس بالخليفة يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م لما أصابهم على يد الفرنجة فإنه أمر بإحصاء سكانها وصرف لهم الإعانات العاجلة [٣]. كما أن الموحدون في أوقات المجاعات كانوا يفرقون الطعام على الناس وخاصة الزراع للقوى بأجر وللضعيف بلا ثمن [٤].

من خلال العرض السابق لنفقات الموحدين يتضح تنوع تلك النفقات وكثرتها، فقد شملت تلك النفقات المرتبات، والنفقات العسكرية مثل بركات وعطايا الجنود، والإنفاق على الأسلحة والمعدات الحربية، وتجهيزات الأسطول وأعداده، وبناء التحصينات العسكرية .

---

[١] المصدر السابق : ص٢٢٩، ٢٣٠ .

[٢] ابن الأثير : الكامل، جـ٩، ص ٤٢٨.

[٣] النويرى : مصدر سابق، ص٩٤، حسن على حسن : مرجع سابق، ص ٢٢٢.

[٤] المقري : مصدر سابق، جـ١، ص٣٧٨ .

كما أنفق الموحدون الكثير من الأموال علي الجانب السياسي، مثل نفقات الاستقطاب السياسي، والذي تضمن نفقات لتأييد ولاية العهد وأخذ البيعة لخلفاء الموحدين، ونفقات على الداخلين في طاعة الموحدين، ونفقات لزيادة التأييد الشعبي، ونفقات على حماية الموحدين وأتباعهم. كما تضمنت النفقات السياسية أيضاً نفقات على العلاقات الخارجية، سواء لدعم العلاقة مع القوى الإسلامية من خلال الهدايا والإغداق على الرسل، وكذلك الإتاوات التي كانت تدفع من حين لآخر في أواخر عهد الدولة لبعض القوى، لاسيما الصليبية التي يُخشى منها .

كما تحمل بيت المال في تلك الفترة الكثير من نفقات البناء والتعمير، خاصة الإنفاق على المنشآت العامة، مثل المدن والقصور والدور والمساجد والمدارس والمكتبات والبيمارستانات والحمامات والفنادق، بالإضافة للإنفاق على المشروعات المائية واستصلاح الأراضي . كذلك شملت تلك النفقات نفقات ذات طابع اجتماعي، مثل العطايا و المنح الخاصة للعلماء والصالحين والفقراء، وأموال التعويضات والنجدة .